الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الخبر الفكاهي في كتاب "ذمّ الثقلاء" لـ "ابن المرزبان"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطلبة:
*- عميمور صالحة
*- خنــور عفــاف

إشراف الأستاذ:
بشيـر عـروس

السنة الجامعية: **2017/2016**

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

""" بسم الله الرحمن الرحيم """

اللهم إنا نسألك خير المسألة وخير الدعاء و خير النجاح و خير العلم و خير العمل و خير الثواب

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا و ذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا و إذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

صلى الله على نبينا محمد و على آله و أصحابه الأخيار وسلم تسليما كثيرا

""" ربنا تقبل منا هذا الدعاء"""

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

إلى من أدعو الرحمان لها فأقول اللهم اجعل "أمي حبيبة" ممن تقول لها النار أعبري فإن نورك أطفى ناري، وتقول لها الجنة أقبلي فقد اشتقت إليك قبل أن أراكي.

إلى من لن يأتي مثله أحد ولن يأخذ مكانه أحد إلى "أبي عبد الكريم"، لو تعلم يا أبي كم من الفخر ينتابني عندما أتبع إسمي بإسمك.

إلى من سأشاركه صعب الحياة وسهلها، خطيبي "ضياء" وكل أفراد عائلته التي هي عائلتي.

إلى مصابيح الغرر وإلى النجوم الدوارة... إلى إخوتي وأخواتي:

أخي الكبير "صالح" وزوجته "مديحة" وابنته "لينا" الجميلة.

إلى أختي "مريم" وزوجها "عادل" وأولادهما "أنس" و"زيد".

إلى أختي "ياسمين" وزوجها "حمزة" وأولادهما "آدم" و"جَنى".

إلى أخي "محمد" (ديدو).

إلى أختي الطبيبة "آية"، إلى أخر العنقود "ليليا".

إلى روح أمي الثانية الطاهرة: جدتي "فاطمة" رحمها الله وأسكنها فسيح جناته،

إلى جدتي "برنية" وإلى روح الشهيدين: جدي "مختار" و "قويدر".

إلى خالاتي وأخوالي وأبنائهم وبناتهم.

إلى من كانت نعم الصديقة والرفيقة... إلى من كانت أيامي بدونها حزن وكئابة ولولا وجودها في حياتي لغابت ضحكاتي... أختي الغالية "عفاف" و"مريومة".

إلى الوريقات اللاتي سقطت من شجرة الصداقة الأبدية واحتضنهم قلبي...

أحلام، خديجة، أميرة، سمية.

رفيقة دربي الصعب "هدى"

إلى أستاذتي " صابرينة "

إليك إلهي أرجو منك أن تجعل من ثمرة جهد ثلاث سنوات عملا نافعا.

صالحة

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

"قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...والصلاة والسلام على خير خلق الله

محمد –صلى الله عليه وسلم-وآله أجمعين.

إلى من سهرت الليالي لأنام، إلى من كانت نعم السند " أمي الغالية نزيهة".

إلى من علمني أول خطوات الحياة... علمني كيف أجابه صعاب الحياة..إلى من أتعب نفسه ليسعدنا "أبي الغالي عمار".

إلى من أسأل الله أن يطيل في عمره لأشاركه مشوار حياتي "خطيبي نبيل".

إلى من كانا والدين ثانيين، جدي وجدتي أطال الله في عمرهما.

إلى جدتي الثانية رحمها الله وأسكنها فسيح جناته "حدّة"

إلى روح عمي المتوفي حديثا "نور الدين" غفر الله له وأسكنه فسيح جناته.

إلى أخواتي الحبيبات "راوية، هيبة".

إلى إخوتي "أنور، إحسان".

إلى البراعم الصغيرة التي بهم تحلو الحياة، أولاد أختي راوية "عبد الله (عبدو)، جهاد"، وأولاد أختي هيبة "عبد العالي، عبد المنعم".

إلى أفراد عائلتي كبيرهم وصغيرهم، إلى كل أعمامي وعماتي.

إلى كل خالاتي وأخوالي وأولادهم.

إلى من كانتا نعم الأختين...إلى من أحببتهما حبا في الله...إلى من فرحت بمعرفتهما..إلى صديقتاي الغاليتان "مريومة، صالحة"

إلى صديقتي الغالية التي شاركتها أسراري...إلى صديقتي المقربة وتوأم روحي "بشرى".

إلى كل صديقاتي "منيرة، هاجر، خولة، سهيلة، أسماء، بشرى، وإلى كل من ذكره قلبي ونسيه قلمي.

عفاف

مقدمـــــــة

مقدمـــة:

يحتل الخبر مكانة هامة في التراث العربي لكونه من أقدم الأشكال السردية العربية، فقد عرف العرب هذا الفن قبل الإسلام وكان ينقل شفاهة، الأمر الذي أدى إلى شيوعه وتدوينه، وقد كثرت الأخبار وتنوعت في آثار عدة متنوعة الأغراض ومتشعبة المواضيع، منها ما ارتبط باللغة ومنها ما هو داخل في التاريخ ومنها ما له علاقة بالدين (حديثا وسيرة)، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اهتمام العرب بالأخبار مثلها مثل أي نوع آخر من أنواع النثر.

إن للخبر أنواعاً ومواضيعَ مختلفةً، والجدير بالذكر هنا الخبر الفكاهي، فهو محل دراستنا الموجزة.

ولعل الأخبار بكل أنواعها لاقت هذا الاهتمام ومما لا شك فيع العناية الكبيرة بالخبر الفكاهي، فقد جذبت الفكاهة اهتمام الأدباء والمفكرين والفلاسفة قديما وحديثا، إذ يلتقي عند الفكاهة حلم الإنسان بواقعه التاريخي وبخياله الأدبي، وقد كانت وسيلة الحوار عنصرا هاما في عملية تبليغ هذه الرسالة الفكاهية، التي تحوي رسائل مشفرة لها أبعاد وأهداف تتجاوز المتعة إلى الإفادة باتخاذ الحديث والخبر أداة فاعلة سواء تعلق الأمر بالشعر أو بالنثر وبمختلف الصيغ المتداولة في ذلك الوقت التي تحيل على مصدر الخبر، وإثراء ذلك الخبر بالحجج والبراهين.

لذا فقد وجّهنا بحثنا إلى هذا النوع من النصوص التراثية مسلطين الضوء على المؤلَّف التراثي "ذمّ الثقلاء" لـ "ابن المرزبان"، فيعالج هذا الموضوع قضية التأدب في المجالسة، إذ أن الفضلاء يستثقلون الثقلاء، وذلك في قالب فكاهي لهذا الغرض كانت صياغة العنوان ب: "الخبر الفكاهي في كتاب "ذم الثقلاء" "لابن المرزبان"، وذلك بتحليل الأخبار الفكاهية للثقلاء، وإبراز أهم الاستراتيجيات والمكونات السردية لهذا الخبر الفكاهي، قصد توصيل الفكرة وتعميقها في أذهان المتلقي لتسرب الأخبار التراثية ومن توظيف عنصر الإسناد.

أَفَدْتُ أثناء القراءة والنظر في مباحث نقدية نحو دراسة حول "استراتيجية الخطاب في أخبار الثقلاء" "لصفية حمادو"، ولدراسة أخرى حول "سردية النص الخبري" "لليندة بن عباس"، ودراسة أخرى حول "الفكاهة في الشعر العباسي" "لجهاد عبد القادر قويدر".

وعليه فإن هذا البحث يهدف إلى رصد الخبر الفكاهي وكل متعلقاته في كتاب "ذم الثقلاء لابن المرزبان" بالكشف عن أهم مكوناته السردية من إسناد وسارد (الراوي)، واهمية الحوار في تبرير إقناع الآخر بسبب "ذم الثقيل".

وقد حاولنا تحقيق هذا الهدف انطلاقا من خطة تضمنت فصلين:

تطرقنا في الفصل الأول إلى مفهوم الخبر الفكاهي منطلقين في بادئ الأمر على مفهوم الخبر وفائدته وأغراضه وعلاقته بالإسناد واصلين إلى الفكاهة في مفهومها العام اللغوي والاصطلاحي، وعلاقتها بالأجناس الأدبية، وختمنا ذلك بالتركيب بين مفهومي الخبر والفكاهة في إطار شامل تحت عنوان "الخبر الفكاهي" شارحين بذلك علاقته الوطيدة بالقصص الفكاهي.

أما الفصل الثاني فخصصناه لتحليل الأقوال في ذم الثقلاء بإدماج أهم الاستراتيجيات للخبر الفكاهي في هذا الكتاب مبرزين مكوناته السردية، لنختتم بمقاصد هذا الخبر الفكاهي بفضل منهج فني تحليلي استقرائي.

في الأخير أود أن أقدم خالص الشكر والإمتنان للأستاذ الدكتور "بشير عروس"، الذي ما كان للبحث أن ينتهي إلى هذه الغاية لولا ملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة، فجزاه الله عن البحث وصاحبه خير الجزاء.

الفصل الأول:

الخبر وعلاقته بالفكاهة

المبحث الأول: ماهية الخبر وأغراضه

أولا/ ماهية الخبر:

إن الكلام في اللغة العربية ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما وهما الخبر والإنشاء، ولكل قسم مفاهيمه ومصطلحاته وسماته المميزة له عن القسم الآخر، والخبر هو شطر من أشطر كلام العرب وهو ما يهمنا هنا ولقد تعددت مفاهيمه والأقوال في باب الخبر وذلك لتنوع تعاريفه بين القدماء والمحدثين.

أ/ لغة:

ورد في المعجم الوسيط "الخبر" ما ينقل ويحدّث به قولا أو كتابة، وقول يحتمل الصدق والكذب لذاته: (ج) أخبار، (جج) أخابير.

والخبير: اسم من أسماء الله عز وجل، العالم بما كام وما يكون –و– ذو الخِبرة الذي يخبر الشيء بعلمه، وفي التنزيل العزيز: "فاسأل به خبيرا"[1].

– وقد جاء في لسان العرب: "فأما قوله تعالى: " يومئذ تحدث أخبارها" فمعناه يوم تزلزل تُخْبِرُ بما عُمِلَ عليها، وخبَّره بكذا وأخبره: نبَّأه، واستخبره سأله عن الخبر وطلب أن يخبره، ويقال: تخبرت الخبر واستخبرته، ومثله تضعفت الرجل استضعفته، وتخبرت الجواب واستخبرته، والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر[2].

– من هنا يتضح أن الخبر يطلق على النبأ، وما خفي من الأحداث والعمال إذا نقلت قولا أو كتابة.

---

[1]– إبراهيم مذكور: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 2004، ص215.

[2]–ابن منظور: لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، باب الخاء، مجلد2، دار المعارف، القاهرة، 1981، ج17، ص1090.

ب/ اصطلاحا:

لابد من الوقوف عند تعريف الخبر في كلام العرب قديما وحديثا، أما قديما: "فقد أطلق عليه علماء البيان والأصوليون والمنطقيون والمتكلمون وغيرهم لفظ الخبر على الكلام التام غير الإنشائي، وهو ما يعنينا، إذ لا يعنينا مفهوم الخبر عند النحاة وأنه المجرد المسند إلى المبتدأ كما لا يعنينا هنا أيضا تعريف أهل الحديث للخبر، وهو هو مرادف للحديث الشفوي أم أن الخبر أعم منه"[1].

لذا نجد لفظ خبر يرد إلى جوار مصطلحات أخرى من قبيل النادرة والسيرة والحكاية والقصص ومن ذلك ما صدر به الجاحظ في كتابه "الحيوان": "ومتى خرج من آي القرآن صار إلى الأثر، ومتى خرج من الأثر صار إلى خبر، كم يخرج من الخبر إلى شعر، ومن شعر إلى نوادر، ومن النوادر إلى حكم عقلية، ومقاييس ..."[2].

كما يرد الخبر في بعض المصنفات باعتباره فنا جامعا لمجموعة من الأنواع الأدبية كما أورده "القالي" في مقدمته "أمالية": "أودعته فنونا من الأخبار، وضروباً من الأشعار"[3].

ومن هنا يتضح بأن الخبر كغيره من المصطلحات الأدبية التي حظيت كذلك بالاهتمام والدراسة، غير أن الخبر تنوعت وتشعبت ضروب القول فيه، باعتبار تداخله مع القصص واعتماده في توصيل الأحاديث والقول المتناقل بين الجماعات والأفراد، كما يدخل إلى الشعر ويتفرع من هناك إلى أنواع أدبية أخرى.

أما حديثا فقد تأخر الاهتمام بالخبر كفن من الفنون وكثيرا ما عُدَّ في باب الأدب الهامشي، ونأخذ أهم دراسة حديثة للخبر وهي دراسة "سعيد يقطين": "الكلام والخبر" الذي

---

[1]– محمد علي الفاروقي التهناوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر دار الكتاب العربي القاهرة، ج2، ص14.

[2]– الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث، 1969م، ج1، ص 93.

[3]– أبو علي القالي: مقدمة أمالية، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ج1، ص 3.

يرى أنه "وحدة سردية مستقلة بغض النظر من جهة ثانية عن (صاحب الكلام) هل هو صادق أم كاذب، واقعي أم خيالي"[1]. إذن فهو نوع أدبي بغض النظر عن محتواه أو صيغه أو صحته.

"يقوم الإخباري في خطابه بتقديم معلومات من كل ما يحتمل الوقوع في الواقع، فالخبر مأخوذ من علوم ومعارف مشتركة بين الناس تبرهن على خبر معين"[2]. و "سعيد يقطين" هنا يبين إمكانية وقوع الخبر في الواقع ومن الواقع.

وقال أيضا: "فإذا كان الخبر أصغر وحدة حكائية، فإن الحكاية تراكم لمجموعة من الأخبار المتصلة، والقصة تراكم لمجموعة من الحكايات، والسيرة تراكم لمجموعة من القصص"[3].

ومن هنا نخلص إلى أن الخبر وحدة حكائية وأن له ميزتين "الإيجاز وميزة السردية"، ويوافقه "سعيد جبار" في كتابه "التوالد السردي" بخصوص الإيجاز، فيرى أن الخبر يأتي عادة موجزا، ويظهر ذلك على مستوى النصية أو ما يسمى "الخطابية"، من حيث شكله القصير. "كما يقوم الخبر في الثقافة العربية على ذكر السند أي الأصوات المتناقلة والمتداخلة في متن الخبر، فالإخبار هو العلم بالشيء وكيفية توصيله إلى السامع وللخبر معان متعددة منها الوقائع والقول المروي"[4].

والخبر يشير إلى نقل حدث واحد أو واقعة واحدة ولذلك فهو يستعمل في السرد القصصي على مجموعات ووظائف من الأحداث والوقائع ويستعمل في مصنفات التاريخ والطبقات"[5].

---

[1]– سعيد يقطين: الكلام والخبر، مقدمة السرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997م، ط1، ص136.

[2]– المرجع نفسه، ص 129–130.

[3]– المرجع نفسه، ص 129–130.

[4]– سعيد جبار: التوالد السردي، قراءة في بعض أنساق القصص التراثي، جدور النشر، الرباط، 2006م، ط1، ص 10.

[5]–عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1992، ص89.

بمعنى أن وظيفة الخبر هي نقل ما يروى من الأخبار المتناقلة بين الناس، وكذلك نقل الوقائع والأحداث، فهو بهذا يخدم السرد بشكل كبيرن وبخاصة السرد القصصي الذي يعتبره –أي الخبر–ركيزة هامة في البناء القصصي المتين بناء متماسكا، يمكن من خلاله توصيل الوقائع وإعطاؤها مكانة في التاريخ وتصانيفه المختلفة.

وقد نال الجاحظ نصيب السبق في توظيف الخبر بل وفي بناء كثير من كتبه على الإخبار، وكتبه تحفل بهذه الأخبار إلى جانب ما فيها من معارف متنوعة، ومختارات من الشعر والنثر، وبعض كتبه يكون مقصورا على هذا الفن ككتاب "البخلاء" و"المحاسن" و"الأضداد"[1].

أي أن الجاحظ تناول الخبر ووظفه في إنتاجاته الأدبية المتميزة كالبخلاء وغيرها من الكتب التي تعد مجالا رحباً للحديث عن الأخبار وما تقوم عليه في نطاق واسع، متتبعا بذلك ما قبله أو من سبقه من علماء عصره.

ويرى "محمد القاضي" أن أهم ما يميز الخبر أو النص الخبري هو ارتكازه على الإيجاز الذي يشكل جزء لا يتجزأ من استراتيجيته، فإنه أضاف إليه مجموعة من الملامح ونوع من الخصوصية على مستوى آلية الخطاب فيقول: "تنزع لبساطة بنيتها إلا في الأساليب"[2] وهنا نجد دائما ميزة الخبر في إيجازه واقتصاده في الأساليب.

ومما سبق ذكره نخلص إلى القول بأن للخبر مكانة هامة جدا في الثقافة العربية، وبخاصة عند الأقدمين منهم، بحيث أولوه عناية خاصة كون البيئة الأدبية آنذاك هي بيئة شفاهية ولكن هذا لا يمنع من توافر بعض النصوص التي أفردت هذا المكون الأدبي – الخبر–بالدراسة، حتى إن الجاحظ الذي يعد أحد كبار علماء عصره، أخذ على عاتقه مهمة

---

[1]– عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، ص89.

[2]– محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي، بحث في السردية العربية دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ص 406–407.

الحديث عنه وصنفه ثالث مرتبة من مراتب الكلام بعد القرآن والحديث، لكن الأمر يختلف والقيمة تقل وصولا إلى العصر الحديث الذي اعتبر الخبر أدبا هامشيا لا أكثر.

ثانيا/ فائدة الخبر، أنواعه وخصائصه:

1/ أنواع الخبر:

يمكن تحديد عدة أنواع للخبر بحسب المرجعيات التي يستقي منها الكتاب أخبارهم أو بحسب نوعية الموضوع المعالج وهي على النحو التالي:

1- الأخبار الدينية: (أخبار الأنبياء، وأخبار الصالحين، وأخبار الأمم السالفة).

2- الأخبار التاريخية: (الأخبار السيرية "السيرة الذاتية"، وأخبار الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والأدبية التي عاشتها الأمم السالفة غير المذكورة في القرآن والسنة، وأخبار الملوك والأمراء أو أصحاب السلطة).

3- الأخبار الواقعية: (أخبار العشاق والجواري والغلمان ومجالس اللهو واللعب، وأخبار الفكاهة، والأخبار الواردة عن حياة الناس عامة(أي الناس العاديين) مثل: الزواج، الطلاق، الزهد...

4- الأخبار التراثية: (أخبار الأدباء، والأخبار على لسان الحيوانات، الأساطير، الأخبار الخيالية أو الخرافية مثل: "أخبار الجن والأشباح والغول والعنقاء مثل: ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة وغيرهما"[1] وحتى وان اختلفت هذه الأخبار في موضوعاتها فإنها تتقارب في بنيتها الفنية وطرائق تقديمها).

[1]- سعيد يقطين: الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، ص 200.

2/ فائدة الخبر:

أيا كان نوع الخبر لابد له من مقاصد وغايات يرمي لإيصالها إلى المتلقي أو المسرود له، "قال أبو الحسن علي بن الحسين قالوا: لولا تقييد العلماء خواطرهم بالأخبار وكتبهم للآثار لبطل أول العلم وضاع آخره، إذ كان كل علم من الأخبار يستخرج، وكل حكمة منه تستنبط، والفقر منها تستثار، والفصاحة منها تستفاد.(..) وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس"[1].

إن أول مقصد للخبر من خلال القول هو التعليم والتربية، ولذلك قال بعضهم لولده: "عليك بالأخبار فإنها لا تعدمك كلمة تدل على هدى، وأخرى تنهى عن ردى"[2] وكذا الحفاظ على التراث ونقله للأجيال اللاحقة ولولاه لضاعت العلوم، فهدفه الأساسي هو توصيل المعرفة للمتلقي في كل عصر خاصة (قصص الأنبياء والصالحين والقصص الدينية والتاريخية "كان عبيد الله محمد بن عائشة القرشي يقول: الأخبار تصلح للدين والدنيا: قلنا الدنيا عرفنا فما للآخرة؟ قال: فيها العبر يعتبرها الرجال"[3]. وهناك نوع من الأخبار (الهزل والفكاهة) هدفها الترويح عن النفس "وامتاع المتلقي بما يسوقه الراوي في روايته معتمدا على عنصر المفاجأة في مجرى الحوادث أو سياق الأفكار أو منطق الواقع. وكان الجاحظ إمام هذا الفن وكتبه تحفل بهذه الأخبار إلى جانب ما فيها من معارف متنوعة"[4]، أما النوع الأخير فيمس الروح والوجدان ويتمثل في أخبار العشاق والجواري.

وفي سياق الحديث عن الجاحظ واهتمامه بالأخبار المتسمة بالفكاهة، يمكننا تقديم مثال من الأخبار التي كان يوردها في كتاباته والذي سنحاول من خلاله استنباط بعض خصائص الخبر التي سبق ذكرها وكذا القصد من ورائه.

---

[1]– نقلا عن المصطلح السردي: ص 157، وينظر معجم المصطلحات سعيد علوش، ص 111.

[2]– ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ص 30.

[3]– المرجع نفسه، ص 32.

[4]– المرجع نفسه، ص 35.

"أبو الحسن عن أبي مريم قال: كان بالمدينة رجل كثر عليه الدين حتى توارى عن غرمائه ولزم منزله فأتاه غريم له عليه شيء يسير فتلطف حتى وصل إليه، فقال له: ما تجعل لي إن أنا دللتك على حيلة تصير بها إلى الظهور والسلامة من غرمائك؟ فقال: أقضيك حقك، وأزيدك مما عندي ما تقر به عينك، فتوثق منه بالأيمان، فقال له: إذا كان غدا قبل الصلاة مر خادمك بكنس بابك وفنائك ويرش ويبسط على دكانك حصرا ويضع لك متكأ، ثم أمثل حتى تصبح ويمر الناس، ثم تجلس، وكل من يمر عليك ويسلم انبح في وجهه، ولا تزيدن على النباح أحدنا كائنا من كان ومن كلمك من أهلك أو خدمك أو غيرهم، أو غريم أو غيره، حتى تصير إلى الوالي فإذا كلمك فانبح له، واياك أن تزيده أو غيره على النباح، فإن الوالي إذا أيقن أن ذلك منك جد لم يشك أنه قد عرض لك عارض من مس فيخلي عنك، ولا يغري عليك. قال: ففعل، فمر به جيرانه فسلم عليه فنبح في وجهه، ثم مر آخر ففعل مثل ذلك حتى تسامع غرماؤه فأتاه بعضهم فسلم عليه فلم يزده على النباح، ثم آخر فتعلقوا به فرفعوه إلى الوالي فلم يزده على النباح، فرفعه معهم إلى القاضي فلم يزده على ذلك فأمر بحبسه أياماً وجعل عليه العيون وملك نفسه وجعل لا ينطق بحرف إلا النباح، فلما رأى القاضي ذلك أمر غرماءه بالكف عليه، وقال: هذا رجل به لمم، فمكث ما شاء الله تعالى ثم إن غريمه الذي كان علمه الحيلة أتاه متقاضيا لعدته فلما كلمه جعل لا يزيده على النباح، فلما يئس منه انصرف يائسا مما يطالبه به"[1].

إن أهم خاصية تلفت الانتباه في هذا الخبر هو الارتكاز على الإسناد، أي إسناد الخبر إلى قائله (أبو الحسن عن أبي مريم) والمصاحب بالمتن المتمثل في مضمون الخبر، التركيز على الحدث (كيفية تخلص الرجل من غرمائه)، قلة الشخصيات والتي انحصرت في الرجل الذي ركب ديونه وغريمه الذي أراد استعادة حقه بالحيلة فوقع هو الآخر ضحيتها، وأيضا القاضي الذي أمر الغرماء بتركه بعد تيقنه بأنه ممسوس، تغليب المشهد فقد تم تصوير مضمون الخبر وكأننا نراه بأعيننا.

[1]– عبد العزيز شريف: الأدب الفكاهي، ص 19.

أما عن الفائدة من هذا النص الخبري المتسم بالطابع الفكاهي فهي إمتاع المتلقي وكذا الاعتبار وعدم الثقة في الناس غير المؤتمنين، وعليه فالخبر الذي يرويه الجاحظ يقوم على "حادثة طريفة أو نادرة، تدل دلالة واضحة على خلق ثابت، فهو قصة شديدة البساطة، وانما يظهر فن الكاتب فيما يسوقه من حوار، فهو لا يضحي بالنبرة الطبيعية للكلام في سبيل فصاحة اللغة، وهو يجعل حديث المتكلم دالا على شخصيته، حتى تكاد ترسم منه صورة كاملة".[1]

وفي الختام نقول إن الخبر نوع من الأنواع السردية، بل إن كل نوع سردي ينبني عليه فهو أصغر وحدة حكائية، وأيا كان نوع الخبر لا بد له من فائدة ينطوي عليها يروم المتكلم إيصالها للمخاطب.

3/ خصائص الخبر:

لقد تجلت لنا خصائص الخبر خلال العديد من المحطات التي مررنا بها، بدءا من حديثنا عن الكلام والخبر في كتاب (سعيد يقطين) إلى علاقته بالسرد، ولا بأس من التذكير بها ولعل أهمها ما يوجزه قول محمد القاضي "على غرار الأجناس القديمة والشعبية، وجدنا الأخبار الأدبية تنزع إلى تقديم الوظائف على الشخصيات، فما يقال أهم من القائل، وما يحدث أهم من الفاعل.(..) وبما أن الأخبار مدار التقاط الحدث الفذ والقول الطريف فقد رأيناها تنزع إلى تغليب المشهد والقص الإفرادي ومراعاة الترتيب الذي تسلكه الأحداث في مستوى البنية"[2] ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن خصائص الخبر هي:

- الاعتماد على السند.

- التركيز على الحدث بدلا من الشخصية.

---

[1]- عبد العزيز شريف: الأدب الفكاهي، ص 19.

[2]- محمد القاضي: الخبر في الأدب (دراسة في السردية العربية)، ص 406.

– القدرة على تناول عدة مواضيع في آن واحد (كالجد والطريف) كما يمكنه أيضا احتواء عدة أجناس وأنواع سردية أخرى كالأمثال والحكم وغيرها.

– عدم الامتداد في الزمان والمكان.

– تغليب المشهد والقص الإفرادي أي؛ الاعتماد على الأسلوب السردي التمثيلي مع قلة الشخصيات.

– بساطة الأسلوب، فهو أصغر وحدة حكائية تبنى عليها الأنواع الأخرى.

ثالثا/ علاقة الخبر بالسرد والإسناد:

1/ علاقة الخبر بالسرد:

يعتبر الخبر نوعا من أنواع السرد بحيث يمكن توظيف مفهوم السرد للدلالة على مختلف الأنواع الخبرية وذلك لكون مفهوم هذا الأخير(السرد) أوسع وأشمل من الخبر فقد اعتبر (سعيد يقطين) الخبر نوعاً أولياً "فالسرد في أبسط تعريفاته الحديث أو الإخبار ك: (منتج وعملية وهدف وفعل وبنية وعملية بنائية) لواحد أو أكثر من واقعة حقيقية أو خيالية، من قبل واحد أو اثنين أو أكثر من الساردين، وذلك لواحد أو اثنين أو أكثر من المسرود لهم"[1]، فالعلاقة بينهما هي علاقة عامة في الغالب لأن الخبر متصل بمعظم أنواع الحكي، فهو يدل على الحدث أو ما وراءه مما قد يوحي به المخبر نفسه و"نستشف من هذا التعريف أن مجرد تصوير سارد يخبر الأحداث والواقع لمسرود له يؤكد حقيقة أن الخبر ليس نتاجا فحسب بل عملية نقل وتوصيل"[2]، ولعل هذه أهم ميزة يشترك فيها الخبر مع السرد فكلاهما يفيد "نقل الحديث وإخبار الآخرين به واستظهاره وتبيينه وتوضيحه وما إلى ذلك ويخرج به من احتكار شخص واحد أو وجهة ما، لما يجعل الآخرين شركاء فيه"[3]، أما الميزة الثانية المشتركة فتتمثل في المكونات، فمكونات السرد هي المكونات نفسها التي تكون الأخبار فنجد في السرد: السارد أو (الراوي) والعمل المسرود (المروي)، والمسرود له (المروي له)، كما هي في النصوص السردية المعروفة نفس المكونات نجدها في الخبر وهي: المُخبِر، الخبر والمُخبَر. وبما أننا بصدد الحديث عن سردية النص الخبري لا بد من الوقوف عند مفهوم السردية التي تعددت تعريفاتها فتعرف بأنها "علم يقوم بدراسة طبيعة وشكل ووظيفة السرد"[4]. وما دام

---

[1]– عثمان عارف تيشكو: الخبر في (آثار ابن الجوزي)، ص 12.

[2]– نقلا عن جيرالد برنس: تر: عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد البريري، المشروع القومي للترجمة، العدد(368)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 145.

[3]– نقلا عن جيرالد برنس: المرجع نفسه، ص 145.

[4]– نقلا عن إبراهيم صحراوي: السرد العربي (الأنواع والوظائف والبنيات)، ص 34.

الخبر نوعاً من السرد فهو كذلك جدير بالدراسة من حيث الشكل والمضمون وحتى الوظيفة، مثله مثل أي نوع آخر من أنواع السرد ومادامت السردية تهتم "باستنباط القواعد الداخلية للأجناس الأدبية واستخراج النظم التي تحكمها وتوجه أبنيتها وتحدد خصائصها وسماتها"[1]، فلا بد من الاعتماد عليها في دراسة مكوناته وتحليلها لمعرفة خصائصه التي تميزه عن بقية الأنواع السردية الأخرى.

2/ الخبر والإسناد:

ورد في معجم السرديات لمحمد القاضي: "الخبر شكل أساسي من أشكال السرد العربي القديم، وربما نطلق عليه اسم الحديث الذي ارتبط معناه كما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال، ويشترك الخبر مع الحديث الشفوي في قيام كل منهما على سند ومتن، غير أن وظيفة السند في الحديث هي تحقيق (Véridiction) الحديث أي البرهنة على أنه حقيقة قد صدر عن الرسول فعلا، أما في الخبر الأدبي فالإسناد وسيلة للمشاكلة أي إيهام القارئ أو السامع بأن الخبر ممكن الوقوع"[2].

ولكن بالعودة إلى كلام الجاحظ بجد أن الخبر يأتي في المرتبة الثالثة من مراتب الكلام لاعتماد الموثوقية، وكما أن محمد القاضي قد أغفل أن الخبر في ارتباطه بالإسناد قد خضع لنسق الموثوقية والبحث عن المصداقية.

ويقول محمد القاضي أيضا حول أهمية السند: "إن هذه البنية الثنائية القائمة على السند والمتن تكشف عن أصول الخبر الشفوية، وقد ظلت هذه السمة عالقة بالخبر حتى بعد أن تطور وأصبح ينشأ في رحم الكتابة"[3].

---

[1]– نقلا عن إبراهيم صحراوي: السرد العربي (الأنواع والوظائف والبنيات)، ص 34.

[2]– محمد القاضي: معجم السرديات، ص 10-11.

[3]– المرجع نفسه: ص 48.

ومن هنا يظهر لنا أن السند كنسق ثقافي هدفه الموثوقية، مرورا بالمشافهة وصولا إلى التدوين.

أما سعيد يقطين فلا نكاد نرى في كلامه العلاقة بين المعنى وراوي الخبر، فقد تقدم أن الخبر لا يكاد يلتفت فيه إلى صاحب الكلام أهو من الخاصة أو العامة صادقا كان أم كاذبا وذلك في قوله: "تقوم الأسانيد في الخطاب السردي على توضيح فحوى الأخبار ومعانيها كما أنها توهم القارئ بإمكانية وقوع الخبر"[1].

ومع ذلك فإننا نلمس من هذا القول أثر الموثوقية في وجود الإسناد، سواء أصح الخبر أم كذب، فالإسناد يمنح الخبر مصداقية ويصطنع له قبولا عند المتلقي، فيحفز الخبر بما فيه من موثوقية السامع القارئ لتقبله إذا كان صحيحا أو توهمه إذا كان كاذبا.

إن هناك من هم في صلة بواقع الخبر، ومنهم من يتحدث عن شخصيات أخرى، ويقصون قصصهم على شكل روايات وأسانيد ببراعة متقنة، وقد أدرج محمد القاضي موضوع الإسناد في الأدب فقال: "أنه يمكن بلوغ الإسناد في الأخبار مبلغ الذي يغدو معه الإسناد موضوع مفخرة المواضيع أدركنا خصيصة جوهرية من خصائص الإسناد في الأدب إذ هو يدل على صاحب القول وإنما بابا يتعين على المبدع دفعه حتى يستطيع ولوج حرم الخبر"[2].

ومن هنا نجد أن أهمية السند بدأت كنسق ثقافي هدفه تحقيق الموثوقية والمصداقية، وهو مهم جدا داخل هذا النسق الثقافي.

---

[1]– سعيد يقطين: الكلام والخبر، ص 142.

[2]– محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي، ص 325.

المبحث الثاني: الفكاهة في الخبر وعلاقتها بالأجناس الأدبية

أولا/ الفكاهة:

يلجأ الإنسان إلى التعبير عن خلجات نفسه ولذلك التعبير عن المواقف التي تصادفه بأساليب وطرق مختلفة منها الفكاهة التي تعتبر رسالة اجتماعية لها تاريخها الطويل في الثقافة الإنسانية، اهتم بها فلاسفة ومفكرين وأدباء كثر لما تحمله من سمات مميزة لهذا السبب عرفت بالتنوع والتعدد في التعاريف.

1/ لغة:

الفكاهة: بالضم، والمصدر المتوهم فيه الفعل الفكاهة الجوهري، الفكاهة: بالفتح مصدر فكه الرجل، بالكسر ..... إذا كان طيب النفس مزاحا، والفاكهة المزاح[1]

وفي حديث أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم، من أفكه الناس مع صبي، وفي حديث زيد بن ثابت: أنه كان من أفكه الناس إذا أخذ مع أهله.

كما جاء في أساس البلاغة ما يأتي: " تفكه القوم: أكلوا الفاكهة، والمجاز، تفكه بكذا: تلذذ به، وفلان فكه بأعراض الناس، وفاكهت القوم مفاكهة عايشتهم ومازحتهم"[2]. فهي طيب النفس وهي التلذذ.

2/ اصطلاحا:

وللفكاهة من الناحية الاصطلاحية كثير من التعريفات بحكم كونها مرتبطة بالإنسان وتنبع من ذاته، لتعبر عما يدور في قرارات نفسه ومنه تنوعت تعريفاتها:

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب، ج10، دار صبح، بيروت، لبنان، 1427هـ–2006م، ط1، ص 296.

[2]– أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري أساس البلاغة: تح محمد باسل عيون السود بيروت لبنان دار الكتب العلمية مادة فكه.

– تعرف في "قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية" بأنها: "طُرفة أو نادرة، أو ملحة، أو نكتة، أو حكاية موجزة، يسرد فيها الراوي حدثا واقعيا أو متخيلا، فيثير إعجاب السامعين، ويبعث فيهم الجذل والضحك أحيانا"[1].

– بمعنى أن الفكاهة هنا تأخذ أشكالا متعددة فهي أما نادرة أو ملحة من ملح الكلام، أو قد تكون نكتة أو حكاية تعتمد على السرد الذي يقوم به الراوي وسواء كان الحدث من واقع الحياة أو كان حدثاً تخيلياً.

– كما نجد نبيل راغب قد تطرق لمفهوم الفكاهة في كتابه "الأدب الساخر"، فقال: "يطلق مصطلح الفكاهة عادة على تلك الكتابات الكوميدية التي تجعل من موضوعها مثارا لضحك القارئ"[2].

أي أنه من خلال تعريفه هذا حصر الفكاهة في الكتابة فقط وما تقدمه من موضوعات تحمل في طياتها ما يثير ضحك المتلقي.

– كما تعرف كذلك بأنها تلك الصفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة التي تثير الضحك لدى المتلقين أو القراء، وقد اختلف النقاد في ماهية هذه الصفة، ف "أرسطو" مثلا ينسبها إلى عيب أو تشويه في أمر ما لا يصل إلى مرتبة الإيذاء والإيلام، فالضحك عنده تعبير عن الاستهزاء، فإذا كانت الفكاهة هي الخاصية المميزة للسلوك الإنساني والذي يكون في المواقف والكلام والأحداث، فإن الضحك هو التعبير الجسمي أو الفيسيولوجي عن هذا الجانب، يعرف بأنها: "تعبير مسموع يرتبط بانفعال معين خاصة البهجة والسخرية والارتباك...إلخ"[3].

---

[1]– أصيل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م، ط1، ص 307.

[2]– نبيل راغب: الأدب الساخر، مكتبة الأسرة، د.ت، د.ط، ص 53.

[3]– شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، ص 19.

أي أن يصدر أصواتا مختلفة كالقهقهة وغيرها من الضحكات وما يصاحبها من تغير في شكل الوجه وتعابيره.

ولهذا نجد أن الفكاهة تشتمل على الجوانب والأبعاد التالية:

1-"الجوانب المعرفية (Cognitive): ويقصد بها تلك العمليات العقلية الخاصة بالإدراك والخيال والإبداع والفهم والتذوق للفكاهة.

2- "الجوانب الانفعالية (Emotionnel): ويقصد بها تلك المشاعر السارة الخاصة بالتسلية والبهجة والمرح والاستمتاع.

3- "الجوانب السلوكية (Behaviorisme): ومنها الضحك بأصواته ونغماته، وحركات عضلات الوجه التي تشبه أحيانا التكشيرات، وتعرية الأسنان أو كشفها، والأصوات التي تصدر عن الحلق، والتغييرات في أوضاع الجسم وحركاته.

4- "الجوانب الاجتماعية (Social): ويقصد بها تلك السياقات الخاصة بالتفاعل الاجتماعي أو الاتصال الاجتماعي بين الأشخاص أو الجماعات والتي تظهر فيها المثيرات المضحكة، وتحدث تأثيراتها السارة.

5- "الجوانب السيكو فسيولوجية (Psychophysiologique): حيث تشتمل مواقف الفكاهة على تغييرات في نمط موجات المخ الكهربائية، ونشاطات كذلك في الجهاز العصبي المستقل، وفي التنفس وإنتاج الهرمونات، وحالة التنشيط العامة في المخ.

6- "الجوانب المتعلقة بإبداع الفكاهة أو إنتاجها وإنتاج أنماط معينة منها: النكتة والكاريكاتير، والمسرحيات الكوميدية وغيرها"[1].

[1]- شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، ص 15.

فالفكاهة هي خبرة داخلية، يكون الضحك والابتسام محصلة لهما في أغلب الأحيان، إذ يمكن أن يحدث الضحك والابتسام في سياقات غير فكاهية، ولذلك يذهب المؤلفون المسلمون إلى أن الفكاهة تكون ضرورة نفسية وعقلية يميل الإنسان بطبعه إليها، حيث لا يحتمل الجد المتواصل، ومن هنا ابتدأ الإخباريون بنقل الفكاهة وحكاياتها حتى منذ الصدر الأول في الإسلام مستعيني بشخصياتها البارزة، مختلفة عن الحكايات التي تنسب إلى مشاهير الفكاهيين، فيعقل الناس بنفوس منفتحة، وتتناقلها الأخبار جير بعد جيل"، كما تصبح الفكاهة المروية وسيلة متخصصة من وسائل التعبير عن الموقف كما يعكس صورة المجتمع بجميع ما يدور فيه من صراعات ومناقشات ومواقف"[1].

ثانيا/ الفكاهة والأجناس الأدبية:

يقصد بالأجناس الأدبية القوالب الفنية العامة للأدب، وتظهر لنا دراسة الفكاهة على تطور الأجناس الأدبية التي توسلت بها، إذا نشأت المسرحية في الشعر العناني، فالهجاء أو التراشق بالشتائم كان فرديا، يقصد فيه الشاعر على النيل من شخص يعنيه، ثم ارتقى فأصبح جمعيا، يعالج فيه الشاعر مواطن النقص أو مثار الضحك في النقائص العامة، وبهد ذلك نشأت الكوميديا أو الملهاة فكانت أعلى مقاما من الهجاء، لأنها ذات طابع اجتماعي عام، فقد كان لها إلى ذلك طابع ديني لأن أصلها يرجع في بدئه إلى أناشيد المرح والسرور وفي الغناء كانوا يمرحون مع النظارة ويسخرون منهم[2].

والكوميديا أو الملهاة بدأت كما بدأت "المأساة أو التراجيديا في أعياد "بونيزوس" واسمها مشتق من كلمة "كوموس" وهي الأحجية المرحة التي كانت ترددها جماعة من المطربين في حيلهم الساذجة للإضحاك كانت أساسا لطبيعة الملهاة"[3].

---

[1]– البحث الأدبي: ص 230–231.

[2]– محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ص 129.

[3]– عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، ص 26.

والكوميديا القديمة كانت أسلوبا للتعبير عن التهكم والسخرية والهجاء، ومجالا خصبا للبحث الشخصي، ولكن "كراتينوس" وهو معاصر "الأرستقان"، أعطى الكوميديا طابعا سياسيا ملحوظا، ونظرا لما أبيح لشعراء الكوميديا من حرية واسعة فقد حفلت بالغمزات والإشارات والرموز المستهجنة والسخرية اللاذعة"[1].

"روح السخرية والفكاهة والتي تعد ظاهرة أدبية جديرة بالدرس على النطاق الذي يتجاوز دراسة الأجناس الأدبية ليشمل الاتصال الإنساني (Humane communication) حيث شبع الإحساس الفكاهي، أو الطرق في ثنايا كل نوع من هذه الأنواع بهدف التوقيع الوصفي من خلال التهكم وأساليب السخرية، حيث يكتسب كل نوع طابعه من روح السخرية والفكاهة.

ثالثا/ الخبر الفكاهي:

يمكن تعريف الخبر الفكاهي بأنه نوع من أنواع القصص الفكاهي، وقد احتل القصص الفكاهي كالنواد والملح والطرائف مكانة بارزة في التراث العربي وكما عرض الأمم الأخرى القصص الفكاهي فقد عرف العرب هذا اللون من القصص منذ العصر الجاهلي حيث كان ينقل شفهيا بين عامة الناس، الأمر الذي ساعد على انتشاره انتشارا سريعا وكان لبعض القبائل في العصر الجاهلي ما يسمى بمضحك القبيلة، وهي شخصية شعبية تشيع جوا من الضحك والمرح بين أبناء القبيلة وشيوخها كما كانت هناك مضحكة القبيلة التي تدخل على النساء فتضحكهن"[2].

---

[1]– عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، ص 27

[2]– التهناوي: محمد الفاروقي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح: د. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1963م.

كما أن الخبر الفكاهي يشترك مع النادرة والملحة في الكثير من السمات المشتركة الأوصاف الكلام وأقسامه وهو ما وصل إليه "سعيد يقطين"[1].

وما أثبته محمد رجب النجار بأن النادرة نوع من أنواع القصص الفكاهي".[2]

ويجب أن نعرف السبب الرئيسي لوجود الخبر داخل الفكاهة ولعل أفضل مجيب عن هذا التساؤل هو "ابن الجوزية" الذي عرض في مقدمة كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" فقال: "أجمع أخبار الحمقى والمغفلين لثلاثة أشياء:

الأول: أن العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب به مما حرموا فحثه ذلك على الشكر.

الثاني: أن ذكر المغفلين يحث المتيقظ على اتقاء أسباب الغفلة إذا كان ذلك داخلا تحت الكسب وعامله الرياضة، وأما إذا كانت الغفلة مجهولة الطباع، فإنها لا تكاد تقبل التغيير.

أما الثالث: أن يروح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المخبوسين خطوطا يوم القسمة فإن النفس تمل من الدؤوب في الجد وترتاح إلى بعض المباح من اللهو، وقد قال رسول الله: "ساعة وساعة لمتتبع"[3].

أي أن الخبر الفكاهي مدعاة لشكر العاقل عند سماع أخبار الحمقى وحث لاتقاء أسباب الغفلة ثم هو راحة للقلب عند سماع المباح من اللهو، كما سماع أخبار الماضين عبرة وعظة.

---

[1]– سعيد يقطين: الكلام والخبر، ص 154–155.

[2]– محمد رجب النجار: التراث القصصي الأدب العربي، مقاربات سوسيو سردية، ص 657.

[3]– ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي أبو الفرج: أخبار الحمقى والمغفلين من الفقهاء، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1997م، ص 1–5.

رابعا/ القصص الفكاهي في التراث العربي:

وردت السخرية في العصر الجاهلي بشكل محدود[1]. وعند ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم ورد الكثير من الآيات القرآنية التي تحمل معاني السخرية والهزل والضحك والاستخفاف في مواضع كثيرة[2].

كما ورد كثير من الأحاديث النبوية في ضحك الرسول وتبسمه كحديث جرير بن عبد الله البحلي الذي قال: "ما حجني رسول الله (منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك)"[3].

كما أورد الإمام أحمد بن حنبل قوله: "قال أبو ذر فرأيت رسول الله (ضحك حتى بدت نواجده)"[4].

وورد عن عبد الله بن مسعود قال: "جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله فقال: "يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلائق على أصبع فيقول: "أنا الملك فضحك النبي (حتى بدت نواجده تصديقا لقول الخبر)"[5].

وبالإضافة إلى ذلك فقد ورد الكثير من مواقف السخرية والاستهزاء بين المسلمين والكفار في عصر النبوة[6].

وإذا كان ابن المقفع (149هـ) قد سخر ونكت بالعرب وببعض الشخصيات في عصره بشكل خفي خشية بطشهم به فإن الجاحظ فتح باب الأدب الساخر والقصص الفكاهي على

---

(1)– الجاحظ عمرو بن بحر: تح: عبد السلام محمد هارون، مج 03، مكتبة الخانجي، ط1، 1979م.

(2)– ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين.

(3)– ابن الجوزي: كتاب القصاص المذكرين، تح: محمد لطفي الصباغ، بيروت، لبنان، ط2.

(4)– الحضري القيرواني، ابراهيم علي: جمع الجواهر والملح والنوادر، المكتب الإسلامي، 1988م، د.ت.

(5)– بن حنبل الإمام أحمد عن الامام أحمد بن حنبل: بيروت، المكتب الإسلامي، 1988م، ط1.

(6)– ابن ماجة محمد بن زيد القزويني: تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

مصراعيه فوضع الكثير من الرسائل والكتب دوَّن فيها كثيرا من القصص الفكاهي في عصره كرسالة "التربيع والتدويني" التي رسم فيها صورا مضحكة لأحمد بن عبد الوهاب[1].

وكانت أعمال الجاحظ هذه بداية نحو تدوين مصادر التراث القصصي الفكاهي، ولعل من أبرزها كتاب "جمع الجواهر والملح والنوادر" لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن نعيم الأنصاري المعروف بالقيرواني وهو كتاب يحوي "نوادر المتقدمين والمتأخرين وجواهر العقلاء والمجانين... المخاسين والخصبان، وآثار النساء والصبيان[2].

ليأتي أبو الفرج عبد الرحمان بن علي ابن الجوزي ليضع مجموعة من المصنفات في التراث الفكاهي أبرزها:

1-كتاب الصراف والمجانين.

2-كتاب القصاص والمذكرين.

3-كتاب الأذكياء.

4-كتاب أخبار الحمقى والمغفلين.

---

[1]- النجار محمد رجب: التراث القصصي في الأدب العربي، مقاربات سوسيوسرديه، مج1، الكويت، ط1، ذات السلاسل، 1996م.

[2]- الحضري القيرواني، إبراهيم علي: جمع الجواهر والملح والنوادر، تح: محمد علي لبجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص 3.

الفصل الثاني:

الخبر الفكاهي في كتاب

"ذم الثقلاء"

توطئة:

الكتاب: كتاب "ذم الثقلاء" لمحمد بن خلف بن المرزبان، (ت309)، تحقيق: "محمد حسين الأعرجي".

جاء في هذا الكتاب مجموعة من الأخبار التراثية، جرت إحداثها حول المجالسة والحوار الذي دار بين فئة الثقلاء المستقلين، إذ رويت فيها أحاديث وإشعار حول هذه الفئة، قام فيها الأدباء والإعلام والشعراء بذمهم بسبب البغضاء التي تنشأ عن مجالسة الثقلاء، وسوء أخلاقهم وعدم احترام أدب المجالسة في جلسات الوعاظ والمسامرين وذلك بسبب ثقل روحهم، وسوء منظرهم وتدني أخلاقهم، كانت إشارة المحقق إن عنوان الكتاب قد ورد في نسخته المخطوطة على انه "كتاب الثقلاء" وهو ما نص عليه: "محمد ابن إسحاق النديم" غير إن هذا الكتاب ينص على أخبار تقوم على ذم الثقيل، فسمي: "ذم الثقلاء".

هذا الموضوع يصنف ضمن المواضيع التي تعالج الظاهرة الإنسانية والعرفية بالدرجة الأولى والدينية والاجتماعية والسياسية بالدرجة الثانية، فقد بغض الله العبد الثقيل وذكر في كتابه الكريم عن مكانة الثقيل في الدين والمجتمع على نحو ما ورد في قوله تعالى: " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ " [سورة الأحزاب، الآية 53] صدق الله العظيم.

وردت هذه الآية الكريمة نصوص مقتبسة لقوله تعالى، وما جاء منها أيضا على شكل أحاديث، رويت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الأدباء والشعراء الذين نبغوا في عصر الثقافة الإسلامية، فكانت الأخبار والروايات والأحاديث الشرقية وسيلة اتخاذها الرواة للتعبير

عن المعاناة الناجمة عن مجالسة الثقيل البغيض الذي تغمض عنه الجفون، توضح أسباب الكتابة عن الثقيل وذكر صفاته والنفور منه.

التعريف بالكاتب:

"هو محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المحوِّلي، يكنى بأبي بكر، وهي كنيته الشائعة، وبأبي العباس"[1]، و"أبي عبد الله"[2]. وتختلف المصادر في سبب نسبته، فتذهب طائفة منها إلى أنها نسبة إلى قرية تقع غربي بغداد تدعى "المُحوَّل"[3]، ولكن الباحث لا يطمئن تمام الاطمئنان إلى هذا التعليل، لأن الذين قالوا به هم من المتأخرين مما يجعلني أميل إلى التفسير الآخر الذي يقول: إنه منسوب إلى باب مُحوَّل "وهي محلّة ... بجنب الكرخ ... متَّصلة"[4].

وأسرته فارسية، وفي اسم جده "المرزبان" وفي سكوت المصادر عن أن تنسبه إلى قبيلة بعينها، ثم في نسبة ياقوت إياه إلى ديمرت –كما مر بنا–إن في كل ذلك مضافا إليه إجادته اللغة الفارسية، وترجمته منها[5]، ما يدل على كونه من أصل فارسي دلالة واضحة، وتجمع المصادر على مسبته إلى الآجر، فتقول: الآجري المحولي، ولا نعرف إن كانت هذه النسبة هي إلى صناعة الآجر، أو إلى "درب الآجر من نهر طابق في المحال الغربية"[6] من بغداد، ولكننا نتصور أن تعدد هذه النسب يمكن أن يشير إلى أصل الأسرة الأول، ثم إلى تنقلها بعدما استوطنت بغداد في محالها.

---

(1)– كناه بذلك الندم في الفهرست: 392، وياقوت في معجم الأدباء 52: 19.

(2)– كناه بذلك إسماعيل باشا البغدادي في إيضاح المكنون في 543: 1، وفي سائر الصفحات التي ذكره فيها، ويكنى أخوه أحمد بن خلف بن المرزبان بأبي عبد الله أيضا.

(3)– ينظر النجوم الزاهرة 203: 3، وهدية العارفين 26:2، ولعل المحول هي ما ندعوه اليوم بالمحاويل، وهي قرية تقع غربي بغداد أيضا.

(4)– معجم البلدان: 66: 5، وممن ذهب إلى هذا الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 237 :5، وابن الجوزي في المنتظم 165: 6، وانفرد ياقوت في معجم الأدباء بنسبته إلى الدميرة، فقال: محمد بن المرزبان، أبو العباس الدميري، على حين لم يذكر شيئا من هذا في معجم البلدان.

(5)– ينظر: معجم الأدباء، 52: 19.

(6)– الأماكن، 56: 1.

"وهي أسرة تهتم بالأخبار، والأدب، إذ وجدنا صاحبنا يروي عن أبيه في هذا الكتاب بما هو صريح في أن لأبيه مشايخ"[1]، ووجدنا أبا الفرج الأصبهاني يروي عن أخي صاحبنا: أحمد[2]. ولم تكن روايته عنه رواية عابرة، فقد نصَّ الخطيب البغدادي وهو يترجم له على أنه: "صاحب أخبار، ومُلَحٍ، وأشعار، وله تصانيف وروايات ..."[3]، شأنه في ذلك شأن أخيه الأكبر منه، أعني به صاحبنا: محمداً. وعلى أن مثل هذه العائلة تبيح لنا أن نتخيل أن نشأته كانت نشأةً علمية، إلا أننا لا نملك صورة واضحة عن هذه النشأة.

ويبدو أنه مهتم برواية الحديث النبوي الشريف وبالأخبار، وبالأدب فكان له فيها شيوخ، ولعله اهتم بشيء من الثقافة الإغريقية التي كانت سائدة في عصره، ولكننا لا نزعم أنه كان عميقا فيها.

---

[1]– ينظر: 3 و.

[2]– ينظر نشوار المحاضرة 193: 6، فقد رو خبر شراء المتوكل جاريتين عن أبي الفرج عن أحمد بن خلف بن المرزبان، وترجمه أحمد في تاريخ بغداد 135: 4.

[3]– تاريخ بغداد 13: 4.

المبحث الأول: أنماط الخبر وبنياته

أولا/ بنيات الخبر:

تتراوح أشكال الخبر في أخبار الثقلاء بين الطويلة والقصيرة، وهي عبارة عن أشكال سردية مختصة، تكون مؤطرة برواة وناقلين للأخبار في سلسلة متواترة، ويأتي الخبر عادة موجزا يظهر ذلك على مستوى النصية أو الخطابية من حيث القصر، كما يقوم الخبر عادة في الثقافة العربية على ذكر السند أي الأصوات المتناقلة والمتداخلة داخل المتن الحكائي للخبر، ورأي "سعيد يقطين" حول شكل الخبر على أنه جنس جامع لأنواع متعددة حدد منها أربع سمات "الأنواع الأصول" المتمثلة في الخبر، الحكاية، القصة والسيرة وتتوحد هذه الأنواع في علاقة تحدث تراكما على مستوى الأحداث والشخصيات، أي أن الخبر يبدأ بصفته أصغر وحدة حكائية "البسيط" لينحو نحو التركيب "المركب" وهو وحدة حكائية كبرى تمثل الحكاية والقصة والسيرة، وترتكز الحكاية والخبر على الحدث، أما القصة والسيرة فإنهما تتأسسان على الشخصيات.

1/ البنية البسيطة للخبر:

تعد البنى السردية البسيطة النواة المركزية لكل فقع سردي، وقدمت بعض الدراسات تصورا حول مفهوم البسيط "Simple" الذي يستعمله بعض النقاد كمرادف لمفهوم البسيط والذي هو مفهوم آخر وهو "Bref" أي الموجز، تم تصنيف هذا النوع من النص السردي باعتبار البسيط أن يكون أقل تمركزا في الفضاء الزمني بحيث يتم التركيز على الحدث أكثر من أي عنصر آخر[1].

في مثل هذا النوع أي "الخبر البسيط" الذي له أهمية في بلورة الأحداث كما هي في واقع الشخص في زمن وفضاء واقعي، يبنى على التمثيل في عوالم ممكنة، أي تحدث في الواقع،

[1]– سعيد جبار: التوالد السردي، قراءة في بعض أنساق النص التراثي، ط1، جذور الرباط، 2006م، ص 10.

وهذا ما نجده في تصورات "ألان مونتاندون A. Montandon" الذي وضع الخصائص الأساسية لما هو بسيط في قوله: "الإيحاء والإيجاز والتمثيلية والوقع الدافع إلى التفكير"[1].

يبني سعيد جبار فكرته حول السرد البسيط على ما أقره "ألان مونتاندون" على أنه "الخبر البسيط"، "يكون أقل تمركزا في الفضاء والزمان ويكون مركزا على الحدث أكثر من ارتكازه على الشخصيات والإيهام بالواقعية والارتكاز على مرجعيات تاريخية والإيجاز في الأسلوب"[2].

إن الخبر كوحدة حكائية ذات خاصية مميزة، يمكن أن يخرج عن الواقعية، نأخذ برأي "عبد الله العروي" الذي قدم مفهوما آخر للخبر البسيط الذي أسماه "خبر الآحاد": "إن الخبر الآحاد مؤشرا على قانون في طور التكوين، لذا لا يبقى الخبر على حاله، إلا إذا لم يغمس تماما في قانون عام، إذا احتفظ بشيء من العفوية والغموض، ما يبرهن فيه هو معناه الخفي"[3].

يعد الخبر البسيط فرعا من النصوص السردية إلى جانب الأنواع الأخرى من السرود، ولأن السرد حاضر في كل زمان ومكان، كما يتجسد من ذلك الآتي: "حدثنا عبد الله بن أبي عبد الله المروزي، حدثنا إبراهيم بن عبد الله عن يحيى بن المغيرة الرازي عن جرير عن سليمات بن أرقع عن الحسن قال: لقد ذم الله عز وجل الثقل فقال في القرآن الكريم: "فإذا طعمتم فانتشروا"[4].

انطلاقا من تقديم هذا النوع من الخبر، نسأل ما إذا كانت كل الأنواع الخبرية الأخرى الواردة في نصوص أخبار الثقلاء بسيطة غير معقدة؟ أم أن هناك تداخلا بين البسيط الذي يتطور في الأحداث والوقائع ليشكل خبرا أكثر تعقيدا وتركيبا ثم يشكل بها حكايات؟ يأخذ بها

---

[1]– سعيد جبار: التوالد السردي، ط1، ص10.

[2]– Voir : A. Montandon, les formes brèves, Ed Hachette, Paris, 1992, p 100.

نقلا عن: سعيد جبار: التوالد السردي، ص10.

[3]– المرجع نفسه، ص 11.

[4]– محمد بن خلف ابن المرزبان: ذم الثقلاء، تح: د. محمد حسين الأعرجي، منشورات الجمل، كولونيا، 1999م، ط1، ص 49.

القارئ أو المتلقي في عملية التمييز بين صدق الخبر من صنعه، وما المغزى الذي يخرج به في نهاية كل حكي؟ هذا ما سنكتشفه من خلال معانيه في البنى السردية البسيطة والمركبة في "أخبار الثقلاء".

2/ البنية السردية البسيطة:

- الخبر:

يأتي الخبر عادة موجزا يظهر ذلك على مستوى النصية أو ما يسمى "بالخطابية" من حيث شكله القصير، كما يقوم الخبر في الثقافة العربية على ذكر السند أي الأصوات المتناقلة والمتداخلة في متن الخبر، فالإخبار هو العلم بالشيء وكيفية توصيله إلى السامع، وللخبر معان متعددة، منها الوقائع والقول المروي[1]. إذا رجعنا إلى المصطلحات الدالة على نقل أخبار السلف من قصص وروايات وحكايات، نجد أن الأخبار في معظمها تتناقل بطريقة تجعلنا في دائرة واسعة ينتشر الخبر حتى يصبح معلوما وشائعا بين الجماهير أي يصبح مشتركا بين الأشخاص أو الروّاة الذين يتناقلون فيما بينهم تلك الأخبار، تكون بذلك إنباء بوقائع شتى، ليستقل بها كل من يتلقى حديثا في ممارسة تلقي الخبر، وكيفية تلقيه من شخص إلى آخر، هنا نقف عند أمثلة من قصص الأنبياء "عليهم صلوات الله" من ذلك ما ورد من أحاديث عن الإسرائيليات منها هذه القصة، روى أحمد قال: "حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد بن ثابت، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما خلق الله آدم، تركه ما شاء أن يدعه فجعل إبليس يطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك"[2].

نكون بهذا الأنموذج من القص قدَّمنا صورة تمثيلية لما سيقدم في مثل هذا النوع من الخبر في السرد العربي من خصوصيات البنى التركيبية والنحوية التي تتشكل في المتن الحكائي

---

[1]– إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم، الأنواع، الوظائف، البنيات، ص 33.

[2]– أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م، ص 52.

الذي يبنى عليه مسار العمل الحكائي، خصوصا عنصر الحدث الذي يدور حوله الخبر سواء كان بسيطا أو مركبا، يظهر ذلك في تتبع خطوات الحكاية من إثارة وخرق وكشف وخلاص.

اتخذ "محمد القاضي" في الخبر العربي أربع بنيات اصطلح عليها بالطلب والمخالفة والتحويل واللغز، وعدّها أكثر تداولا، حيث تمثل عنده هذه البنيات الأربع الخطط الأولية التي تسير عليها النصوص الأدبية، وهي البنى التي حلّلها "أندري يولس" "Andries Youls" إلى أمثال سردية بسيطة.

إن الأخبار البسيطة وخاصة تلك التي تقوم على "بنية اللغز" أي على الافتتاحية بحالات أو أفعال لا يتبين فيها الحافز "Le Motif" وتنطلق من وضعية غامضة ثم تتحول إلى وضعية مألوفة، وهو ما يؤدي إلى استقرار الخبر ومنه هذا الخبر[1].

"حدثنا أبو بكر العامري، حدثنا سعيد أبي داود، حدثنا شيخ يقال له إسحاق كان بعين زربه، عن الحسن قال: خرج موسى عليه الصلاة والسلام يستسقي فلم يسق فقال يا رب خرجت مع بني إسرائيل أستسقيك فلم تسقنا، فأوحى الله إليه أنه كان فيهم عبد أبغضه، قال: من هو يا رب حتى أبغضه كما أبغضته؟ قال: يا موسى أنا أبغض التباغض من خلقي فكيف أخبرك".

يفتتح مسار الفعل الحكائي في هذا الخبر، بحيث بدأت إمكانية حصول حدث أو فعل السقي لموسى "عليه الصلاة والسلام"، حيث انتقل من وضعية السقي إلى وضعية عدم السقي، من هنا يظهر أن إمكانية حصول الفعل لم تتحقق، ثم تطور هذا الفعل الحكائي لينتهي إلى نتيجة هي أن عدم سقي موسى راجع إلى وجود عبد أبغضه الله "عز وجل" وينتهي مسار المتتالية الحكائية بالفشل.

وصف المشتغلون في السرد هذه العملية في الحكي "بالبنية القاعدية" التي يتشكل منها أساس الحكي في إنشاء وتطوير البسيط وأطلق عليها بـ (التوازن، خرق التوازن، إعادة التوازن)

[1]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 52.

بحيث نرى في بساطة هذا الخبر أنه سرد لحدث غير مفصل لتفادي الحشو والتكرار، نلاحظ من خلال هذا النوع البسيط أن البنية الحكائية تنمو نموا أفقيا، لأن بنية الخبر تكون وجيزة على مستوى الخطاب، إن هذا الظاهرة الموجودة في الأخبار قد أصبحت ذات بنية بسيطة على سرد يرد مفردا أو يتكرر في الخبر الواحد، وإن تكرر على مستوى الفعل فإنه ينفتح على نوع التوازن يتجه إلى لا توازن ثم يعود مرة أخرى إلى التوازن.

3/ البنية السردية المركبة:

- الحكاية:

إن النوع المركب الذي هو "الحكاية" عبارة عن عملية تحول من النوع البسيط إلى النوع المركب، عرف "عبد الفتاح كيليطو" الحكاية بأنها: "مجموعة من الأحداث التي تتوق إلى نهاية، أي أنها موجهة إلى غاية هذه الأفعال السردية تنتظم في إطار سلاسل تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية كل سلسلة، يشدّ أفعالها رباط زمني ومنطقي"[1].

إن الحكاية هي ذلك الزخم المتراكم من الأحداث على مستوى الخبر البسيط، وهو ما يشكل البنية الإطنابية على حد قول "سعيد يقطين" الذي درس البنيات الحكائية في السيرة الشعبية فاستنتج أنها تقوم على انفتاح الخبر البسيط كما يتم توسيع البنية الحكائية للخبر عن طريق هذا التراكم في الأحداث، وهو ما يعزز إحداث خرق في التوازن، يتم ذلك بانغلاق السردية وانفتاحها، وهي تقنية من تقنيات الحكي في "أخبار الثقلاء.

هل يحدث هذا الانغلاق والانفتاح على مستوى المتتاليات وكذا وجود الخرق في التوازن وإعادة التوازن؟ أم أنه يبقى على حال الخبر الذي ينتقل بواسطة الحكي إلى خبر مركب

---

[1] – عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2006م، ص 39.

ويحتفظ بسمة الخبر البسيط؟ هذا ما سيظهر على ضوء تقديم بعض العينات في الخبر المركب:

- **العينة (أ):**

"حدثنا عبد الرحمان بن محمد، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا عفان، حدثنا عمر بن علي قال: "جاء حجاج بن أرطاة إلى الأعمش، فاستأذن عليه، فقال: قالوا له: ابن أرطاة على الباب، فقال الأعمش: ابكي علي"[1].

- **العينة (ب):**

قال، حدثني أبو محمد الطوسي، عن علي بن محمد القرشي، عن نمير العدوي، قال: استأذن إسماعيل على الغمر بن يزيد بن عبد المالك، فحجب ساعة، ثم أذن له، فدخل يبكي: فقال الغمر: ما لك يا أبا فائدة تبكي؟ قال: كيف لا أبكي وأنا أحجب عنك، ومروانية أبي، ومروانية أبي؟ فجعل الغمر يعتذر وإسماعيل يبكي، فلما خرج قال له رجل، ويلك أي مروانية لأبيك؟ قال: أسكت امرأته طالق، إذ لم يكن أبي نزل به الموت، فلقن لا إله إلا الله، فقال: لعن الله مروان بغيضا صلاة منه له، فجعل عوضا من قول: لا إله إلا الله، ترى أن له من ذلك الأجر مثل ما له من الأجر من التوحيد؟[2]

نلاحظ من خلال الخبر (أ) أنه يسير وفق مراحل الانفتاح ثن الانغلاق ويتوسطه خرق أو عقدة عندما يصل الخبر إلى الحدث الأساس، نلاحظ مثلا أن حادثة حجاج بن أرطاة تمثلت في مجيئه إلى الأعمش ثم انتقل إلى مرحلة أخرى هي الاستئذان لدخوله إليه، ثم إخباره من كان معه يتوضح منه بوجود "ابن أرطاة" على الباب، فأجاب الأعمش بأمر البكاء عليه لأنه كان يستثقل "ابن أرطاة"، هنا تنتهي سيرورة هذا العمل الحكائي.

---

[1] – ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 66.

[2] – المرجع نفسه، ص 87.

أما في الخبر (ب) فحدث نوع من التراكم والإطناب على مستوى البنية الحكائية لتصل إلى عقدة هي السؤال عن سبب بكاء "أبا فائد"، وأجابه على أنه يحجب عنه بسبب موت أبيه وامرأته طلقت منه، ثم بعد ذلك حصل الاعتذار، وإسماعيل يبكي، فلما خرج قال له رجل: "ويلك أي مروانية لأبيك"، هنا لم تصل الحكاية إلى نهاية، وحدث خرق على مستوى المتتالية السردية، ثم بعدها أجاب "أبا فائد" عن سبب بكائه لأن أباه مات، وقد طلق امرأته، فتأسف من موت أبيه لأنهم لم يوحدوا لأجل موته بل لعنوه لأنه كان بغيضا، ثم تشكل سؤال آخر من الحادثة هو: "هل للرجل أجر من لعنته مثل أجر التوحيد؟ فحدث خرق في التوازن، بذلك لم تصل الحكاية إلى نتيجة بل بقيت عالقة بسؤال محير، يحتاج إلى جواب.

تقوم البنية الحكائية في بناء العمل الحكائي بوجود ثلاث مراحل هي عند "كلود برومون" الاحتمال، التحقيق، النتيجة:[1]

- الاحتمال: وهو فتح سيرورة أو عدم فتحها.

- التحقيق: يرتبط بالوظيفة الأولى الاحتمال بحيث يتحقق فيها الاحتمال أو لا يتحقق.

- النتيجة: وهي نهاية السيرورة الحكائية للوصول إلى المقصود أو عدم الوصول إليه، يرى "كلود بريمون" أن وظيفة التحقيق يمكن أن تتجزأ إلى أكثر من وظيفة أو فعل انطلاقا من إمكانية توسيع البنيات الحكائية على توازن النص العربي، وذلك بمراعاة خصوصياته بحيث تقوم البنية الحكائية في النص العربي على وظائف أربع هي:[2] الإثارة، الخرق، الكشف والخلاص.

---

[1] – سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، ط1، شركة مدارس للنشر والتوزيع، الرباط، 2004م، ص 154-155.

[2] – المرجع نفسه، ص 155-156.

يتم سرد الحكاية البسيطة "وفق توالد أفقي وهو البناء الذي يلحق البنيتين الحكائيتين بالانتقال من بنية الخبر البسيطة إلى بنية الحكاية المركبة"[1].

توصل سعيد جبار إلى فكرة هي أن هذا الانتقال بين هتين البنيتين يتم "عبر إدماج التفاصيل الحكائية للحدث الواحد وتفريعه بتوسيع النسق الحكائي وهو ما ينتج التنويع والتعدد على مستوى البنية السردية في مكوناتها المختلفة، ففي مقابل الصيغة ووحدة الصوت السردي المهيمن في خطاب الخبر "البنية السردية البسيطة، تصادف تنويعا صيغيا بإدماج الخطاب المعروض بقوة"[2]، وذلك بإسهام شخصيات فاعلة، يتم بها تطوير الحدث، فتتميز هذه البنية السردية المركبة باشتغال خطاب الأحداث إلى جانب خطاب الأقوال على حد تعبير جيرارد جنبت"[3].

إن الخبر البسيط يتميز من الخبر المركب بوحدة الحدث، وتكون أحداثه غالبا خارج عنصري الفضاء والزمن الذي يغيب ليجعل الحدث مفردا يهتم بوصف عوالم ممكنة وشخصية عامة وعادية كما يقدم الفضاء صفة "العام" في خصوصية الخبر أو الحدث الذي يكون خارج ملامح تلك الفضاءات وهذا ما يميز خطاب الخبر عن باقي الخطابات الأخرى، منها خطاب الحكاية وذلك يتجلى في خصائص الخبر الأربعة، التي ذكرها "مونتاندون" وبالأخص خاصية "الوقع الدافع إلى التفكير"، وهذه الخاصية التي يتميز بها الخبر البسيط هي ما يجعل مسار التوالد السردي ينقل من البسيط الأولي إلى ذلك المركب المتولد أو المتفرع عنه.

أما في الخبر المركب فهو ذلك التمازج بين المسار الأفقي والعمودي معا، إذ ينمو الخبر المركب وفق تعدد الشخصيات، وبالتالي تعدد الأحداث وتطورها في أمكنة وفضاءات متنوعة، ذلك ما يضمن تعالقا في الوظائف، وهو المرور من وظيفة إلى وظيفة أخرى تكون متفرعة

---

[1]– سعيد جبار: التوالد السردي الأفقي، ص 81.

[2]– سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، ص 155–156.

[3]– سعيد جبار: التوالد السردي الأفقي، ص 81.

ومتضمنة مشكلة بذلك بناء عمل حكائي الذي يصير بنية كبرى داخل النص الحكائي، يمكن أن نوضح هذه النتائج في الجدول التالي:[1]

الخبر / المكونات	الخبر	الحكاية
الشكل	شكل بسيط	شكل ينحو نحو التركيب.
الزمن	وحدة الزمن	تعدد الأزمنة.
الحدث	وحدة الحدث وبساطته، التركيز على الحدث المركزي.	تنوع الأحداث وتشعبها نسبيا، التركيز على بعض الجزئيات.
الفضاء	وحدة الفضاء أو غيابه، غياب وصف الفضاء وتسميته.	حضور الفضاء وتنوعه دون التركيز على وصف ملامحه.
الشخصية	ندرة الشخصيات وقلتها.	تعدد الشخصيات نسبيا وتنويعيا.
الصيغة السردية	وحدة الخطاب السردي وهيمنة الخطاب المسرور.	تنوع الخطابات والصيغ السردية بين المسرود والمعروض.

[1]– سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، ص 132.

ثانيا/ أنماط الخبر في كتاب "ذم الثقلاء":

بعد تصنيف الخبر إلى بسيط ومركب بالانتقال من الخبر البسيط إلى الخبر المركب، تنتقل إلى تصنيف الخبر بشكل أفقي، كان الحديث عن نمطي الخبر منذ « أفلاطون وأرسطو» اللّذين قدما تصورا أدبيا يصفان به طبيعة الفعل السردي بيف الحقيقة واللا حقيقة، أما في التصور النقدي، فكانت مقولة الصدق والكذب هي المتداولة، كان العرب يصنفون الكلام إلى خبر أو أمر أو استخبار أو رغبة، أما عند الغربيين فكانت عملية تنميط الخبر السردي محددة في المستويات التي درست الإجراءات، بوضع فواصل منطقية ودقيقة لضبط أنماط الخبر، فكان الاهتمام بالواقعي واللاواقعي منصبا على مفهوم الواقعية في الأدب، التي يتم بها تحليل الأنماط، فقد تمت دراسة الأعمال الأدبية خصوصا ما تعلق بأعمال « فرانسوا رابلية»، لكن ما يهمنا هو الكلام حول تصنيف أنماط الخبر في الثقافة العربية لنثبت مقولة الواقعي واللاواقعي في العمل السردي، فكان لـ: « رولان بارث» تصور حول هذه الثنائية بحيث جعل الواقع يرتبط بالتاريخ (وما حدث في الواقع) في مقابل التخيلي الذي يشبه الواقعي.

إذا ما رجعنا إلى الدراسات في الثقافة الإسلامية فنجدها قد اهتمت بثنائية الصدق والكذب حيث كان تحديد نمط الخبر ومصداقيته من خلال عملية إسناد الخبر لقائله وذلك بذكر شخصيات تاريخية أو دينية أو سياسية أو أدبية، تتواتر في متن الخبر لتشكل عوالم ممكنة وحصرها في أزمنة وأمكنة توهم بواقعية الخبر. فهل تتحدد أنماط الخبر في (أخبار الثقلاء) بالصدق والكذب؟ أم تتجاوز ذلك لتخرق قوانين الطبيعة؟ وكيف يمكن الوصول إلى إقناع القارئ بعدم وجود هذا الخرق بين المألوف والتخيلي؟

لإيجاد إجابات لهذه الأسئلة يجب أن نميز أولا بين هذه الأنماط من خلال تحديد مستويات الكلام استنادا إلى أنواع الخبر بين البسيط والمركب الصادق الواقعي والمختلط القريب من الواقع وبين مالا يشبه الواقع (التخيلي).

إن للخبر نمطين: الأول واقعي والثاني تخييلي، فالنمط الأول متعلق بالجلساء والندماء أما النمط الثاني فإنو متعلق بالمادة المحكية الذي ليس لها بعد واقعي، وميز" سعيد يقطين" بين الأخبار التي تلقى في المجلس في حقب تاريخية معينة، أما فيما يخص أنماط الخبر التي نجدها في كتب الأخبار فيقول " محمد القاضي" أن شذرات من الأخبار تحمل تصورا وهو إقبال القوم على الأخبار ولا سيما منها العجيب والغريب والظريف والطريف، حتى إنهم يشترطون هذا النوع قبل سماعه ويطرونه إن استجاب لرغبتهم ويستعيدونه إن أرادوا الإمتاع به"[1]، هذا ما سنحاول أن نكتشفه من خلال تحليل أنماط الخبر.

1/ الخبر الواقعي:

تتجلى واقعية الخبر في غياب سارد تخيلي من المحكي، فالمسافة التي قد يضعها بينه وبين ما يخبر به تساعد على وجود سارد آخر، يمنح لهذه الأحداث خاصية اللاواقعية، تبّين أّنه يمكن للواقعية أن تجعل من خبر هذا السارد قد وقع بالفعل، يوجد عنصر السند في الثقافة العربية الإسلامية فكانت سلسلة الأخبار تشكل عبر العصور بانتقال الخبر بالتدوين أو المشافهة ليصل في آخر مرحلة إلى صاحب الخبر مباشرة، ما يميز الخبر التاريخي من باقي الأخبار الأخرى، التي نجدها متداخلة فيما بينها كما يرى ذلك "سعيد جبار"[2].

ننطلق من رأي سعيد جبار لننتقل إلى تقديم أنماط الخبر في (أخبار الثقلاء) لنرى مدى مصداقيتها من افترائها. نلاحظ من خلال كتاب " ذ. الثقلاء" أن " ابن المرزبان" قد نهج منهج مصنفات أخرى مشابهة لها كمصنف "العقد الفريد"، "لابن عبد ربه" وبهجة المجالس للقرطبي، و"البيهقي" في "المحاسن والمساوئ"، والزمخشري في "ربيع الأبرار".

---

[1]– محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي، بحث في السردية العربية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998م، ص634.

[2]– سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، ص 193.

لعل منهج "ابن قتيبة" في مصنفه "عيون الأخبار" اتّبعه بدوره "ابن المرزبان" الذي لا يذكر (أخبار الثقلاء ونوادرهم)، وانما أنباء تبيّن شدة التباغض بين الناس التي سادت عصر "ابن المرزبان" لأسباب سياسية وأخرى شخصية بحتة، كعلاقة "ابن أبي الدنيا" بتلميذه "علي المكتفي" وفي خبر من أنكر على صاحب الفاسق أن سمي ابنه محمدا كل ذلك يحيل على أن موضوع (أخبار الثقلاء) لا يدخل فقط في باب الثقل هذا ما يجعلنا نعتقد أن جزًء من هذه الأخبار مألوف لا يحتاج إلى التفسير والتفكير والتصديق في الأخير، وهذا ما استنتجه محقق كتاب (ذ. الثقلاء) " محمد حسين الأعرجي" وهناك من يجعل من بعض أخبار الثقلاء مألوفة هو ذكر مجموعة من المصادر لتلك الأخبار منها: "التذكرات في كتب السلف"، "تاريخ الحافظ المنذري"، "أبو بكر الأنباري" في "أماليه" "تذكرة المذكورة"، وكذا أخبار رويت ودونت عن الصحابة والأنبياء، فلا شك من واقعية وصدق تلك الأخبار، هناك أخبار قد دونت في هذا النمط الأليف في الخبر الآتي:

حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان، قال:" أنشدني ابن أبي الدنيا، وكتب به إلى المعتضد أمير المؤمنين، وكان يؤدب ولده علي المكتفي فقال:

إن حق التأديب حق البنوة عند أهل التّقي وأهل المروه
إن حق الأنام أف يعرفوا ذا ك ويرعوه أهل بيت النبوة[1]

هذا الخبر يخبر عن حادثة الأمير المعتضد الذي كاف يؤدب ولده ويذكره بحق التأديب وهو حق البنوة (البنون)، وهذا الخبر قد دّون عن قراءة لأنه ذكر من عدة رواة لتقف روايتيه عند "ابن أبي الدنيا" وكان ذلك في تاريخ 483 هـ، وهذا يحيل على واقعية الخبر، ولا تظهر فيه أية غرابة.

خبر آخر: وهو خبر سليمان بن أرقم عن الحسن قال: "لقد ذم الله عز وجل الثقل فقال في القرآن ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾، هذا الخبر صادق ومعترف به من طرف العام والخاص.

[1]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 38.

كما يتجسد الخبر الواقعي (الأليف) بعنصر "الشخصية" في العمل الحكائي وكانت عدة دراسات اهتمت بالشخصية في القصة الخرافية وكل الأنواع الأخرى، أول من قام بدراسة واقعية الشخصية الخبرية الباحث الفرنسي "فليب هامون Philipe Hamon" في كتابه للشخصيات الروائية".

هذه الدراسة توضح طبيعة الشخصيات وفاعليتها في الأعمال السردية في مستويات ثلاثة[1].

يتعلق المستوى الأول عند "فليب هامون" بمدلول الشخصية، وهو الذي يقّدم صورة ثلاثية لشخصيات مرجعية، وشخصيات إشارية وشخصيات إستذكارية. فقد جعل الفئة الأولى هي التي تقدم صورة حول واقعية الشخصية في العمل الحكائي، لأنها تحيل على مرجعية الشخصية الاجتماعية والتاريخية إلى غيرها من الشخصيات المشاركة في (أخبار الثقلاء)، ومنها نجد خبر "قلابة بن أنس" سليمان بن حرب عن الرسول (ص) حيث قال لم أهديت زينب إلى الرسول (ص) فصنع طعاما، ودعا القوم فجاءوا فدخلوا فجعلوا يتحدثون، وجعل الرسول (ص) يخرج ثم يرجع، وهم قعود فنزلت: ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا﴾ [2]، فخبر الرسول (ص) كان مألوفا وشخصيات الحدث الحكائي كانت مألوفة أيضا، كما تتفرع عن هذه الشخصية المرجعية شخصيات واقعية أو تخييلية نجدها تقريبا منعدمة في الأخبار المألوفة من خلال توافر هذه الأنواع من الشخصيات في العمل الحكائي. ينتقل الخبر من نمطه الأليف إلى النمط العجيب وذلك يتوقف عند كل قراءة تختلف من متلق إلى آخر. حسب ما يقتضيه مدلول سياق كل خبر.

كما يكون الخبر مألوفا من صنف "المحتمل" فتكون أحداثه قريبة من الواقع بوجود

---

[1]– سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، ص 198.

[2]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 48–49.

شخصيات شبه واقعية توازي الشخصيات الحقيقية ما يقارب الواقع، وهذا ما اكتشفناه من خلال اطلاعنا على هذه العينات من الأخبار في كتاب (ذم الثقلاء):

- "قال: وأنشدنا محمد بن المرزبان:

وثقيل جلسه في سياق ساعة منه مثل يوم التلاقي

ليت أني كما أراه يراني فيلاقي من ثقله مـا ألاقي"[1]

- "قال: أنشدني محمد بن علي لبعضهم:

شخصك في مقلة النديم أثقل من رعية النجوم

يا رجل وجهه جحيم منك خلاصي من الجحيم"[2]

2/ الخبر العجيب:

الخبر العجيب هو الذي يكون معناه يتجاوز التجربة ويفوقها، وذلك برصد أحداث في عوالم تخليليّة من خلال ذكر بعض أوصاف الكائنات الخارقة للعادة (كالجن والشبح والغول والشيطان ...) بذلك كان مفهوم الحقيقة في ثقافتنا ما يتصل بالعالم المثالي الذي هو عالم خارج عن معتقداتنا ومعارفنا، فإذا ما عدنا إلى أخبار الثقلاء نجد أن الخبر العجيب لا يتربع على مساحة كبيرة مقارنة بالخبر الأليف والغريب فمعظم الأخبار التي وردت كانت تدور في حلقة الواقعي، ما حدث في أزمنة مضت بشكل عادي لا يستدعي التخيل، كان ابن المرزبان بصدد ذكر مناقب ومواعظ ونوادر متعلقة بفئة ضئيلة في المجتمع سعيا من وراء ذلك إلى الإصلاح وتعديل سلوك هؤلاء البشر، وما كان من العجيب إلا ما جاء عفوي، دعوة إلى الملتقي أو السامع لهذه الأخبار أن ينزاح عن الأمر المعتاد، من هذا النمط في الخبر أقترح هذا المثال:

---

[1]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 39.

[2]– المرجع نفسه، ص 39.

– "حدثنا عبد المؤمن بن عبد الله، قال: قدم علي أبي الشمقمق ابن عم له من البصرة زائر، فأقام عنده أياما ودفع إليه شيئا، وخرج فأنشأ يقول:

ألا يا أوخم الثقلين طـــرا وأثقل من رحى ومن ...

فعدت، كأنما الرحمان ربي براك اليوم من ضم الصخور[1]

وفي باب ذكر الشيطان نجد هذا الخبر:

حدثنا لو [...] ن، حدثنا إسماعيل بن هارون قال: قال المأمون في نديم كان لو، وكان يستقله:

ونديم كأنه غصص المـو ت كثير المراء يشجي الخليلا

يتفنى وليس يحسف شيـــئا لا، ولـ.....

وصلي في غير وقت صلاة ليس إلا لكي يكـون ثقيـــلا

ليته شجني وفر إلى النـــار وكان الشيطـــان منـه بديـــلا[2]

نلاحظ من خلال هذين الخبرين أن صفة الجن والشيطان مختصة بشخصية الثقيل، وذلك ما يدعو الناس إلى تصديق الخبر على أنه نمط أليف، بسبب رسوخ بعض المعتقدات لدى الناس التي تحيل على بعض الثقيل كبعض الشيطان، وهذا ما لا يتنافى مع الحقيقة من هنا نستنتج أن الخبر العجيب لا يخرج دائما من طبيعة المألوف، إذ هناك بعض الاعتقادات والبديهيات التي تجعل الخبر العجيب يحمل صفة الحقيقة، وذلك يختلف من ثقافة إلى أخرى ومعتقدات شخص إلى شخص آخر.

[1]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 102.

[2]– المرجع نفسه، ص 77.

انطلاقا مما تقدم مم عرض لأنماط الخبر (الواقعي – التخييلي – التخيلي)، بدا أن النمط الواقعي مرتبط بواقع وحدث تاريخي بتوظيف شخصيات ومقومات توهم بهذه الواقعية في الخبر فكلما ارتبط الحدث القصصي بشخصية مرجعية، كان الخبر أليفا وواقعيا، والشخصية تلعب دورا مهما في تصنيف أنماط الخبر، وإذا ارتبط الخبر بسرد قريب من الواقع أو يشبه الواقع، فإننا على مستوى خبر غير واقعي كما أننا يمكن أن نصادف في الأخبار الواردة في موضوع الثقلاء أحداثا وحكايات ليس لها بعد مرجعي بعيدة عن المألوف والعادة، مثل الجن والشيطان.

فنحن في إطار اللاواقعي المرتبط بالمشابه للواقع والمخالف له من شخص إلى آخر.

يمكن أن نقدم شكلا نبين فيه الأنماط الثلاثة للخبر[1]:

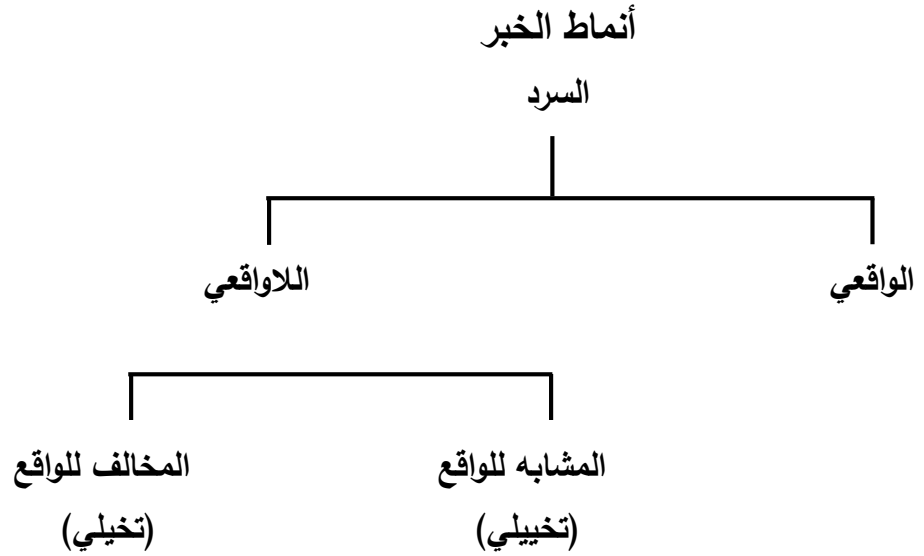

[1]– سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، ص 191.

المبحث الثاني: المكونات السردية للخبر في كتاب "ذم الثقلاء"

حرص ابن المرزبان على إسناد أخباره الفكاهية حرصا شديدا إذ لم يرد خبر فكاهي واحد إلا وقد سبقته إسناد، حتى أصبح مكونا أساسيا في هذا الكتاب، بعدما أصبح الإسناد نسقا ثقافيا عربيا في العصر الجاهلي واستمراره في تتبع الأثر والسنة النبوية، إضافة إلى الطبيعة الشفاهية للخبر الفكاهي، تفرض على السرد الإخباري أن يكون مسندا على سلسلة من الرواة لتحقيق الموثوقية في الخبر والمصداقية فيه، وبقي هذا الإسناد لصيقا بالأخبار حتى بعد مرحلة التدوين التي لم تقدر على فصل هذه الأسانيد عن إخبارها كما بقيت محافظة على المستوى، وهنا تتجلى السمة الثقافية للأمة العربية التي تركز على الإسناد والتوثيق في أخبارها وقصصها وميلها إلى تتبع مصدر الخبر الموثوق وهذا عبر العصور.

إن الأخبار تنقل مشافهة عبر الأجيال، الأشخاص، وهذا ما يجعل انتقالها يبنى من شخص لشخص ومن جيل لجيل مما يؤدي إلى تغير في هذه الأخبار من مصدرها الأولى وآخرها، فتكون عملية الإسناد بحيث يجب إضافة أسانيد جديدة وصياغة جديدة تستدعي الدقة والموثوقية.

وصيغ الإسناد كثيرة وكلها أفعال في الزمن الماضي مثل: "حدثني، حدثا، قال، أنبأنا، سمعت، أسندني...".

وبالعودة إلى كتاب "ذم الثقلاء" نلاحظ بان الإسناد يصنف من حيث الطول إلى شكلين هما:

أ/ الإسناد القصير: وفيه يقل عدد الساردين المنقول عنهم، وقد تمثل هذا النوع من الإسناد في عدد غير قليل من الأخبار ويمثل له بقول ابن المرزبان: "حدثنا أبو عبد الله السوسي عن محمد بن سلام الجمحي..."[1].

[1]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 76.

وقال أيضا: "قال حدثني أبو بكر عبد الله بن محمد قال ابن كناسة "[1].

ومما يتضح في هذه الأمثلة أن الراوي شخص واحد وان الإسناد فيه قصير.

أما النوع الثاني فهو:

ب/ الإسناد الطويل: وفيه يكثر عدد الرواة المنقول عنهم وقد تكرر هذا النوع من الإسناد كثيرا في الكتاب، ومنها الأخبار التالية: وأولها ماسته لبه ابن المرزبان كتابه فقال: "أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد العابد بقية السلف...."[2].

وقال أيضا: "حدثنا أبو العباس المروزي..."[3].

ومن هنا نجد أن الرواة كثيرون، وبالتالي فالإسناد طويل.

ومما سبق نجد الإسناد يكثف بتنوع أفعال القول الموظفة فيه، حيث دلت عليه أفعال ماضية عدة، ارتبطت بحسن الخبر والحكي، وعدة من القرائن الدالة عليه مثل: " قال، سمعت ..." وأين ذلك أشار الباحث سعيد يقطين حيث قال عنها: "إن كل هذه الصيغ تدخل ضمن جنس الخبر، سواء كان هذا الخبر من أخبار القص الطوال، وسواء كان حكاية أو قصة تدور حول الجن أو الأولياء الصالحين"[4].

ومما لاشك فيه أن هذه الصيغ، وما يماثلها في الأخبار مثل: حدثني، أنشدني ...، وظفت بشكل كبير مقارنة بالأفعال الأخرى، وهي صيغة تتكون من الفعل (قال+ اسم الشخص)، وهذا الشخص غالبا ما يكون شخصية دينية أو تاريخية أو أدبية معروفة، والتي تؤثر ذم الثقلاء بإسناد واقعي، لان الأخبار تأتي منقولة عن أناس معروفين على وجه الحقيقة، وابن المرزبان يدرك أهمية هذا الأمر حيث نجده يحرص دائما على ذكر أسماء الرواة الناقلين للخبر ليس

---

[1]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 84.

[2]– المرجع نفسه، ص 47.

[3]– المرجع نفسه، ص 50.

[4]– سعيد يقطين: ص، 192.

لأنه ادعى لصدق الرواية فحسب بل لما فيه من عناصر الجدب والتأثير لأنهم في الغالب شخصيات معروفة ومشهورة ومعترف لها بالمنزلة والمكانة العالية ونذكر من هؤلاء الرواة مثلا: "عبد الله بن نضر، عن أبي ربيعة، عن عامر، أبو القاسم عبد الرحمان بن علي، جرير، علي بن أبي الفضل، الأصمعي."، فهذه الأسماء المشهورة تدل فعلا على فطنة المؤلف ودهائه.

1/ مقاصد الإسناد:

للإسناد مقاصد كثيرة نذكر منها:

1-إن في توظيف الإسناد الذي يذكر فيه أسماء الساردين "الرواة" منقولا عنهم ما يوثق الأخبار ويؤكد صحتها.

2-إن في توظيفه أبعاد للشبهة واحتمال عدم الصدق فيما ينقل من الأخبار، لان من يحاسب على الكذب فيها هو من نسب إليه الخبر.

3- "إن ابن المرزبان يعي قيمة الإسناد في إبراز أهمية الخبر الذي يليه، هذه الأسانيد تشد انتباه المتلقي وتوحي له بأهمية الحدث أو الخبر، مما يخلق له تشويق ورغبة فيما يريد الراوي تبليغه بعد أن سمعه من غيره، فاستخدم الراوي الإسناد يستدعي وعي القارئ ويؤكد وجود اتصال بينهما"[1].

2- إن توظيف الإسناد يساعد الراوي على أن يكون مجرد سارد يسرد ويروي ويتخذ موقعا خلف الأحداث التي رواها بوصفه راويا لها.

- "وعلى الرغم من هذه المقاصد فان المقصد الأكثر أهمية هو أن الإنسان أصبح نسقا ثقافيا وكامن التقاليد المتعارف عليها في التراث العربي"[2].

---

[1]- السرد عند الجاحظ، البخلاء، نموذجا، فاديه مروان، احمد، ص69.

[2]- السردية العربية، ص، 169.

2/ الـــــراوي:

إن الراوي والساند يرتبط ارتباطا وثيقا بالإسناد فان كان إسنادا فلا بد من وجود مسند إليه وهو الراوي، وبما أن الخبر كان ينقل شفاهة فان عدد الرواة يكون كبير بحسب تنقل هذا الخبر، ونلاحظ في كتاب "ذم الثقلاء" إن ابن المرزبان هو الراوي لهذا الخبر الفكاهي، فيروي ما شاهده أو ما سمعه بنفسه أو يروي عن غيره الخبر وهكذا فيقول: جدثنا أبو محمد، حدثنا عمر بن الصامت، حدثنا يونس، حدثنا حماد عن قتادة أن رجلا قعد وسط الحلقة فقال لحذيفة: إن فلانا أخاك قد مات، قال: وأنت أحق على الله أن يميتك.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة.

-إن السارد الحقيقي المفارق لمروية | ابن المرزبان قدم الراوي الفعلي للخبر| الموقف الفكاهي وهو أبو محمد، عن عمر بن الصامت وصولا لقتادة: "فقتادة هو الشاهد الفعلي للحدث وكل من تبعه أو لحقه، كما انه قدم الراوي البطل الثقيل وهو رجل مجهول لحذيفة، إن فلانا أخاك قد مات، وقد حدد موقعه وسط الحلقة وهنا بدت المفارقة واضحة بين الموقف الأول والثاني.

وقد يتكلم الراوي عن نفسه بنفسه قائلا:

قال... ابن المرزبان قال: أنشدني علي بن محمد لأبي زيد المازني (من الرمل):

يا بغيضا فاق في البغـ ـــض على كل بغيض.

أنت عندي ..... في عين المريض[1]

فالراوي يروي عن نفسه مباشرة فقد سمع هو إسناد علي بن محمد لأبي زيد المازني شخصيا.

[1]- ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 58.

وقد يروي الراوي عن غيره قائلا: "حدثنا عبد الله بن العباس بن الحسن، قال: بلغني عن الشعبي انه قال: "إذا أردت أن يكون بينك وبيني من ستثقله الحين فحول قفاك إليه"[1].

وهنا نجد أن السارد الحقيقي هنا ابن المرزبان يقدم راوي الخبر وهو عبد الله الذي يقدم راو جديد هو العباس بن الحسن والذي بدوره يقدم راويا أخر عن الشعبي الذي يقوم يسرد نصيحة لتجنب الثقلاء. والثقيل فيذمه.

[1]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 58.

المبحث الثالث: الآليات البلاغية للخبر الفكاهي:

إن كل ظاهرة لها إطار معين يحدد غايتها، وهذا الإطار عام يميّزها من الظواهر الأخرى حيث كان لـ "أمبرطوايكو" إلتفاتة نقدية حول الأطر وقد حدد مفهومها من حيث فاعليتها في ضبط التأويل بقوله: "الأطر لا تسمح لنا فقط بتأسيس مدار الحديث، وإنما تحدّد مساره وغايته ووجهة النظر التي يتبناها"[1].

تصاغ الأدوات اللغوية البلاغية عند القدامى بتقديم تصنيف ضروب الآداب، أشار محمد القاضي الى أن الحديث عند العرب هو إدراج تلك الضروب بعضها بعضا لتضع نوعا يندرج ضمن جنس الخبر، فقد تحدث "ابن المعتز" عن "السيد الحميري" ويصفه بأّنه «كان أحذق الّناس بسوغ الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر"[2].

من ضروب الآداب الحديث والخبر والمنقبة وهي عناصر تدخل في حّيز الشعر، والجاحظ تحدث بالمقابل عف غايات النحويين ورواة الأشعار والأخبار حديثا يشف اندراج الشعر في الخبر، إذ قال: "ولم أر غاية النحويين إلاّ كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل"[3].

وقال آخر:

إن الثقيل وإن تخفّف جهده كان الثّقيل على الفؤاد ثقيلا

---

[1]– محمد مفتاح: مجهول البين، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1990م، ص 109.

[2]– عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار فراج، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1981م، ص 32.

[3]– الجاحظ: البيان والتبيين، ج4، تح، محمد أبو ملحم، منشورات دار مكتبة الهلال، ط7، بيروت، 1992م، ص 24.

كان استعمال كلمة "تأطير" في السرود العربية وسيلة بلاغية، وأن التأطير شكل "يستعمل المبدأ نفسه دائما في العمل، إذ يبالغ في بعض المظاهر التي تستحق الوجود في الواقع ويقلل من مظاهر أخرى في المقابل"[1]

يلاحظ في الرواية (تأطير) وهو بمثابة التعيين، ويعرف بالمشهد الاستهلالي في السرود العربية القديمة، إذ نجد المشهد الاستهلالي يتصدر متون كتاب (الثقلاء) والخواتم التي تمثل الحافز السردي الأصيل لإنتاج أو تأليف حكائي، يكون متواتر في السرود الفرعية، يشكل بها عملية الخلق لإطلاق الحكي والمعارف بين النّاس، ولكل رسالة أدبية أركان يتحتم بها النظر الى أدبية القص.

إن الاستهلال مكّون من مكونات النسق الحكائي، فهو يحمل صيغا لغويا تبرز للقارئ أسلوبه التأثيري. يخلق التأطير صفة التشويق في المتلقي وبخاصة إذا كانت الحكاية المؤطرة تسلك مسلكا حكائيا متقنا، يقود إلى طرح أسئلة بعد أخرى، وبه يتم الوصول إلى الإقناع، لذلك يخلق الاستهلال عنصرا إستقباليا، وهو الإطار الذي ينظم عملية السرد والتلقي معا.

تحتفظ الحكاية الإطار ببنيتها السردية البسيطة، التي تقوم على تكثيف الأحداث ثم تحريكها بسرعة نحو نهايتها دون الخوض في تفاصيلها ويقوم الامتداد البنيوي في النصوص التراثية لاسيما ما نجده في مصنف "ألف ليلة وليلة" "على التحولات السردية التي استحدثتها "شهرزاد" كصوت سردي من درجة ثانية، "ناظم داخلي" أنها تتحول من شخصية فاعلة في الحكاية الاطار إلى ساردة لمجموعة من الحكايات الداخلية المؤطرة يكون فيها المسرود له داخليا أيضا "شهرزاد" وأحيانا أخرى "دنيازاد" ويستدعي هذا السرد أحداثا من أزمنة متباينة وفضاءات متباعدة كما يستعدي في كل لحظة شخصيات جديدة، وهو سرد يقوم في الغالب على تداخل عوالم حكائية لا متجانسة تجمع بين الأليف والعجيب، مما يمنحها جمالية خاصة،

---

[1]– يمينة تابتي، الحجاج في رسائل (ابن عباد الرندي) "دراسة تداولية،" رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ،2007، ص71.

ونسقا حكائيا دقيقا، يوهم بهذه التراتبية في الحكي، ويضمن لهذا التوالد تسلسله ومقروئيته الخطية المتتالية"[1].

إن الاستهلال هو أول شيء يبدأ به العمل السردي في الأجناس الأدبية كالحكاية والقصة والرواية و "هذا النوع هو أحد أركان البلاغة، وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطمع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان هذا الكلام فتحا ففتحا، وإن كان هناء فهناء، وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به؟"[2]

هذه الافتتاحية في الكلام تبدأ بها أقوال الّرواة كما جاء ذلك في كتاب "ابن المرزبان: "أنبأنا الشيخ أبو الحسف علي بن إبراهيم السرارج والشيخ أبو عبد الله الحسين ابن علي الّنجار وذلك في صفر، سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بقراءتي عليهما، وغيرهما قالوا: "أنبأنا عبد الله... حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان، قال أنشدني... وكتب به الى المعتضد أمير المؤمنين وكان يؤدب ولده المكتفي..."[3]، ذلك لتتبع المسار الاستدلالي للخبر، ليتم به إفهام المستمعين الذي يتشكل منه بلاغة الخطاب لدى متلقي ذلك الخبر.

---

[1]– سعيد جبار: التوالد السردي، قراءة في بعض أنساق النص التراثي، ص 85.

[2]– ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر، جزء المبادئ والافتتاحات، ج3، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص 96.

[3]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 47-48.

أولا/ بلاغة الاستعارة والتشبيه:

1/ بلاغة الاستعارة:

إن بلاغة الاستعارة "لا تتعدى بلاغة التشبيه من ناحية تأليف ألفاظ التشبيه وابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان لا يجول إلا في نفس أديب، وهب الله لو استعدادا سليما في تعريف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء، وأودعه قدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها مع بعض إلى مدى بعيد لا ينتهي"[1].

شغلت الاستعارة حّيزا كبيرا في تفكير "ايكو" وهي عنده موضوع مهم فلسفي ولساني وجمالي ونفسي، إن "الاستعارة تشير إلى الصور البلاغية"[2]، لكونها جنسا وتلك المجازات الأخرى أنواعا، فالاستعارة عند "ايكو" «لا تقيم تماثلا بين المرجعيات التي تحيل عليها المستعار منه والمستعار له، بل يشتمل بالدرجة الأولى على سمتين أو خاصيتين دلاليتين في طرفي الاستعارة"[3].

وضع عبد القاهر الجرجاني في نظريته حول النظم جانب في الاستعارة، حيث أخذ بجانبين في تحديد موضعها في الحجاج وأساليبه فتأثر بعاملين هما:[4]

- **الأول: أساليب الحجاج:** كالرد على أقاويل المعترض وعلى شبه تأويله، وكالتوجيه إلى المخاطب وافتراض علمه واقتناعه بما يلقى إليه.

- **الثاني: الجهاز الحجاجي في المناظرة:** وهو جهاز مفهومي متأصل في المجال التداولي الإسلامي العربي، فقد عمد الجرجاني إلى اقتباس عناصر مختلفة في تكوين تصوره للاستعارة،

---

(1)– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م، ص284.

(2)– رشيد الإدريسي: سمياء التأويل الحريري بين العبارة والإشارة، ط1، المكتبة الأدبية شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2000م، ص 42.

(3)– المرجع نفسه، ص 42.

(4)– طه عبد الرحمن: المساف والميزان أو التكوثر العقمي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1989م، ص309.

منه "الادعاء" و"الإثبات" و"التقرير،" "السؤال" و"الاعتراض" و"المعارضة" و"الدليل" و"الشاهد" و"الاستدلال" و"القياس".

كما جعل الجرجاني مفهوم الادعاء أداته الاجرائية التي تقوم بوصف اشتغال الاستعارة في الخطاب في المجال البلاغي ونقله إلى أوصافه، التي هي ثلاث أصلية (التقرير، التحقيق، التدليل).

مثل ذكر أوصاف الجبل الذي يرسى على الأرض بأوصاف الإنسان الثقيل، كما أن بلاغة الاستعارة في تنوعها وثرائها، ومنها الاستعارة العنادية التي تكون تلميحية في الكلام البلاغي، وقد تكون تهكمية والمقصود منها التهكم والاستهزاء من شخص وهو "أن اللفظ يكون ضد معناه نحو رأيت أسدا تريد به شخصا جبانا"[1]، فالسخرية والتهكم في نصوص (أخبار الثقلاء) هما اللذان نزل فيهما التضاد منزلة التناسب نحو "فبشرهم بعذاب أليم"، استعيرت البشارة لتؤكد على الخبر السار للإنذار وذلك بإدخال جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء"[2].

وهذه أمثلة وردت بأسلوب ساخر تهكمي من كتاب "ذم الثقلاء":

قال: أنشدني الأدمي، قال: انشدنا ابن المرزبان، قال: انشدنا أبو بكر القريشي:

انهضوا، فإن أبى يا جلسائي فانهضوا

زبدة البغض لـــــه في فؤادي تمخض.

أنشدني الأدمي قال: أنشدني ابن المرزبان قال: أنشدني أحمد بن علي:

أنـــت والله ثقيـــل وأنا أيضا ثقيل

لك رأس فيه بوستين ولي عقب طويل.

---

[1]– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص 267.

[2]– المرجع نفسه: ص 267.

"قال: أخبرني... محمد عن الحرمازي، عن مجالد عن الشعبي أنه كان قاعدا في مجلس فأقبل رجل، فلما رآه قال، وقال: ثقيل والله"[1]، والعقب الطويل بمعنى كثرة الأولاد، كأن يقول الشاعر في ذلك البيت لممدوحه: "أنا أطلب رفدك وعطاءك لأولادي الكثيرين، فأثقل بطلبي عليك، وأنت لا تفهم، لأن دماغك من جلد غليظ كأنه البوستين فتثقل علي": تهميش كتاب (ذم الثقلاء (ص 71) حيث يخاطب احمد بن علي ممدوحه بأسلوب غير مباشر، ويريد أن يصفو بثقله، لأنه لا يفهم شيئا من كلامه، ما دعا به إلى حفظ ماء وجه مستمعه.

إن صفات الثقيل تبنى على زحم كبير من الاستعارات التي تمكن المخاطب من أن يعّبر عنها لوصول الفكرة إلى أذهان المستمعين، فبهذه الاستعارات يجلب انتباه القارئ ويؤثر فيه ويقنعه، إنها بلاغة الإمتاع والإقناع في آن معا، فقد جرى العرب والمحدثون على أن يشبهوا بصفات حميدة، فيشبهون مثلا: "الوفي بالسموأل، والكريم بحاتم، والعادل بعمرو، والحليم بالأحنف، والفصيح بسبحان، والخطيب بقيس، والشجاع بعمرو بن مهد، والحكيم بلقمان، أما إذا شبّهوا بالصفات الذميمة، فيصيغون أسماهم حسب صفاتهم كأف يشبهوا العي "بباقل" والأحمق بـ "هبنقة"[2].

2/ بلاغة التشبيه:

تتمثل بلاغة التشبيه من حيث "الصورة الكلامية التي يوضع فيها، فأول التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرت أركانه جميعها، ولأن بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أن المشبه عين المشبه به، ووجود الأداة ووجه الشبه معا يحولان دون هذا الادعاء"[3].

التشبيه البليغ ما حذفت فيه الأداة أو وجه الشبه، فتكون درجة التشبيه عالية في البلاغة لأن حذف أحد هذين الطرفين يقوي الادعاء ويتحدد ذلك أن المشبه والمشبه به واحد.

---

[1]– ابن المرزبان: ذم الثقلاء، ص 65، 69.

[2]– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص 249.

[3]– المرجع نفسه، ص 246.

إن الأغراض البلاغية في تشبيهات (أخبار الثقلاء) تتمثل في إظهار صفات الثقيل "بالإفصاح والإبانة، فيمكن أن يعتبر الدهاء والمكر والنكراء والإكراه والمنازعة والاحتجاج والاضطرار بالحجة والتحريك"[1] كلها من صفات الاضطرار حسب محمد العمري، إلاّ أن بعض الوسائل المستعملة للبيان محسوسة عند الجاحظ في أمر الغرض من بعض وسائل الإقناع مثل "الفهم والبيان"[2]، فهي وسائل موجهة للاستمالة أو الاضطرار فيكون التشبيه في بعض المقامات أداة للإقناع والتصديق والإبانة والوصف، في الأبيات المذكورة أعلاه يعمد الخطيب إلى استعمال عبارات قوية كافية، لأن تبلغ القصد عند المتلقي، فبمجرد أن يذكر فيل أو جبل أو مرض الحمى يمكن أن نفهم المعنى الأصلي وهو أن الثقيل يحمل صفات مشابهة لتلك الكلمات.

ثانيا/ استراتيجية الحجاج:

تقوم العملية التخاطبية بين (متكلم ومستمع) على إقامة حجاج، حيث ارتبط الحجاج بالجدل والخطابة، عّد " أرسطو" الجدل والخطابة قوتين تقومان على إنتاج الحجج، من هنا أصبح الجدل جزءا من الحجاج في الحوار الخطابي لذا كان رأي " مصطفى ناصف" في البلاغة عند العرب بلاغتان: " أحدهما بلاغة الدعاية وكسب المخاطب واسترضائه واستمالته وتحسين القبيح وتقبيح الحسن وقد طبقوها على الشعر. أما البلاغة الأخرى فهي بلاغة تتعمق دراسة اللغة وقد طبقوها على القرآن بدراسة لغته ونظام عبارته وطريقة تركيبها ونظمها"[3].

---

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، 1999م، ص 199.

[2]– المرجع نفسه، ص 199.

[3]– ينظر: مصطفى ناصف، بين بلاغتين، ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي، ج1، النادي الثقافي، جدة، ص 180، نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ،2001م، ص 24.

الإستراتيجية الإقناعية:

احتل خطاب المناظرة في التراث العربي مرتبة أولى، حيث يلجأ المخاطب ليبرز بها كفاءته التداولية "La compétence pragmatique" التي تساعده على بلوغ قصده، ما دفع المتكلمون أو المتحاورون إلى استخدام الإقناع في مجال المناظرات والمجادلات في مذاهب مختلفة، ومن وسائل الإقناع التي يستخدمها المرسل، نجد أن "محمد العمري" قد قّدم نماذج منها وفق ما ذهب إليه "أرسطو" في تقسيمه الخطابة إلى ثلاثة هي : "وسائل الإقناع أو البراهين – الأسلوب اللغوي– ترتيب أجزاء القول"[1]، ذلك ما دعا إلى تصنيف الخطابة على أنها وعظية ومذهبية بحيث يستعين العرب القدامى في خطاباتهم بالشواهد والأحاديث والأمثال والأشعار للتأثير في القارئ واستمالته، ثم إقناعه.

بّين "محمد الواسطى" أساليب الحجاج في المصنفات التراثية واستنتج منها أساليب مصنّف التعليل والمبالغة والتّشبيه الضمني والاستعارة والاستشهاد بالأحاديث النبوية والأشعار، جمعها "ميشال ماير" في أعمال كثيرة منها ما كان حول الحجاج ونظرياته: وأخذ منها نظرية المسائلة والأساليب المغالطية.

تعد عملية الإقناع أساس في الجملة الحجاجية، فالحجاج هدف مهيئ لتحقيق الإقناع الذي يمنح للمرسل صلاحية استعمال آلية الحجاج في سياقات عديدة مثل الدعوة، الطلب والإقرار والإذعان والإحجام والتحذير من العادات السيّئة...

لذا يكون الحجاج مهما عند المرسل، يتّم به مخاطبة الآخر واستضعافه باستعمال الألفاظ المناسبة، لذا نرى أن الإستراتيجية الإقناعية لها أهمّية لتحقيق المقاصد في خطابات مختلفة، خصوصا ما ارتبط بالخطاب الجدلي أو المنافري، من هنا قال الّشهري: "إن الدراسات العربية للجاحظ لم تكن كافية، فقد أهملت الجانب النّظري، فذهب إلى مناح شكلية أخرى دون أف

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 453.

تهتّم بجاني البلاغة التداولي المرتبط بالإقناع المعّبر عنها بالمخاصمة بين الطرفين أو المخاصمة أو المجادلة..."[1].

إن الإخباريين في النّصوص التراثية يعمدون إلى استخدام استراتيجية الإقناع فيما يخبرون به نلاحظ أن نصوص "ابن المرزبان" في كتابه "ذّم الثقلاء" تبين مختلف المسّوغات والوسائل المتّخذة لإقناع الآخر بوجود أشخاص في المجتمع لا يحتملون ويتبرؤون منهم من شّدة ثقلهم على الآخرين، لأنهم لا يحسنون المجالسة ولا يأتنس بهم، بحيث ليس لهم حضور في المجتمع، لذا يتعّين على المتخاطبين في هذه الأخبار إلى الاستعانة بشتى الوسائل اللغوية والأساليب البلاغية والحجاجية عند مشاركتهم الحديث معهم، واحداث التفاعل والتأثير فيما بيهم.

تنشأ عملية الإقناع في العملية التخاطبية في أخبار الثقلاء بعنصر الحجاج، بحيث يهتم المتخاطبون بنوعية الحجج والبراهين التي تساعدهم على بلوغ القصد، فينصب اهتمامهم على ربط الحجة بسياقها بهدف بلوغ سبيل السامع ليسّد أراء وحجج المتلقّي ويستضعفها، يختار ما يناسب كفاءة المرسل في قالب لغوي. فللغة دور في التفاعل وهو توافر "فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير وأن الوظيفة الأساسّية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية"[2]، فبالتحاجج يمكن أن نصل إلى المعنى المقصود في خطاب الثقلاء، وهذا ما نلاحظه في هذه الأخبار:

قال أخبرني أبو بكر العّماري، أخبرني أبو الحسف المدائني... محمد عن علي بن مجاهد عن عنبسة بن سعيد : أن إبراهيم محمد بن طمحة بن عبيد الله قال لأبي هاشم بن محمد بن الحنفية : أما والله إني لأبغضك قال: ما أحقك بذلك، ولم لا تبغضني وقد قتل جّدي أباك، وجدك ونكح عمي أمك؟".

---

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص454 .

[2]– ابو بكر العزاوي، "سلطة الكلام وقّوة الكلمات، مقالة في مجلة المناهل، وزارة الثقافة والاتصال المغربية، العدد 62–63، فاس، 2003م، ص 142–143، نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 457.

قال: أخبرني سلمة بن يزيد، حدثني أبو حاتم السجستاني، قال، قال الفضيل بن إسحاق الهاشمي، قعد إلى بشار رجل – وكان يستثقله–فضرط عليه بشار، فقال: انفلتت منه ثم ضرط عليه أخرى، فقال: انفلتت منه، ثم ضرط ثالثة، فقال الرجل: يا أبا معاذ، ما هذا؟ قال: ما رأيت أو سمعت؟ قال: لا بل سمعت، قال، لا تصدق حتى ترى".

حدثنا لو...ف، حدثنا إسماعيل بن هارون قال، قال المأمون في نديم كان له وكان يستثقله:

ونديم كأنه غصص المـــو ت كثير المراء يشجي الخليلا

يتغنى وليس يحسف شيـــئا لا، ولـ.....

ويصلي في غير وقت صلاة ليس إلا لكي يكون ثقيلا

ليته شجني وفّر إلى النّـــــا ر وكان الشيطان منه بديلا[1]

يقول "فان دايك" أن "الأفعال المنجزة مرتبطة بالسياق الذي يكون فيه المخاطب حاضرا والذي يحدث فيه تغيير ما على المخاطب طبقا لأغراض ومقاصد المتكلم، مع شرط التواضع والاتفاق"[2]. إذ أن المخاطب ينجح في إقناع الآخر إذا نجح في إنجاز قوة أفعال الكلام نجاحا كاملا، كما قد يكون فاشلا في فهم مقاصد قوة فعل الكلام الذي يلقيه المخاطب حتى إذا تم فهم مما قيل.

يلجأ الراوي هنا إلى الاستعانة بمجموعة من الحجج الدامغة، وهي حجج تحيل على شكوى المأمون من النديم الذي يزوره فيستثقله في كل مّرة، فقد وجه له خطاب يحمل معنى الهجاء والانتقاد بذكر صفات الثقيل الدنيئة والقبيحة، وهذا يحيل على مقدار البغض والهروب من مصاحبة الثقيل بذكر أبشع سلوكاته ومظاهره وهيئته الجسدية وأحواله النفسية، المرسل هنا يدرك أنه لكي يقنع السامع بحججه يجب أن يستعين بوسائل أخرى مثل التهديد والمراوغة في

---

[1]– ابن المرزبان، ذّم الثقلاء، ص 77–74.

[2]– فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000، ص 266.

التعبير والوعد والوعيد والاعتراض. ذلك أن الخطاب يناسب تحولات سياق الخطاب وما يقتضيه تحول هذا السياق من ادعاء واعتراض وقبول ورفض، ويتحّول بذلك درجة قناعات المرسل إليه، حيث أن المرسل إليه لا يكتفي بحجة أقوى من الحجج الأخرى، حيث أن من صفات الحجاج أن تتجسد فيه خمسة ملامح رئيسية حسب "الشهري" هي:[1]

1- يتوجه بالحجج إلى مستمع.

2- يعّبر عنه بلغة طبيعية.

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4- لا يفتقر تقّدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- ليست نتائجه ملزمة.

يلجأ المتحاور في أخبار الثقلاء إلى الإشهاد بالشعر لإقناع الحاضرين في تلك المجالس فقد أسهم أبو بكر العزاوي في الحجاج بعدد من المقالات التي توّزع بين دراسة الشعر والنّثر دراسة حجاجية، من هذه المقالات ما جاء بعنوان: "نحو مقاربة حجاجية للاستعارة"، إذ طّبق فيه مفهوم السلم الحجاجي على الاستعارة في هذا المقال، مستنتجا أن "الاستعارة تفضل الحقيقة من ناحية قّوتها الحجاجية، إذ يبدو أن الأقوال الاستعارية أعلى حجاجا من الأقوال العادية"[2] بالشعر يكون الإقناع أقوى لتقريب المعنى إلى المتلقي، إن معظم الخطابات التي وردت في رسالة "جلال الدين السيوطي" تحمل صفات الثقيل بأسلوب بلاغي محض، يستعين فيه الشاعر بكل الأساليب البيانية والبديعية، لإيصال الفكر وتحقيق الإقناع: ففي هذا الخطاب نلتمس وجهة مغايرة من أساليب الإقناع، فمنه يستمّد القارئ خصوصية الخطاب الاستعاري، الذي يلجأ إليه المخاطب لمخاطبة الثقيل بطريقة غير مباشرة، وهذا ما يقّوي علاقة المرسل بمتلقيه

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 458.

[2]- المرجع نفسه، ص 452.

وجلب انتباهه، حيث يوّجه المرسل خطابه إلى الثقيل كي يقنعه بعدم الّرغبة في مجالسته أو محاورته.

إن الشعر وسيلة توسل بها الشعراء بهدف إبلاغ الفكرة مباشرة في النفوس البغيضة فقد عبر "العباس بن الأحنف" عن الثقيل بأنه بلية نزلت عليه فيقاسي منها من شدة ثقله عليه.

يكون المعنى هنا موضوعي، إذ يقول "جورج لايكوف" في هذا الشأن أن المعنى يكون مستقلا عن الاستعمال حين " يقتضي رصد الصدق، عند النزعة الموضوعية أن يكون المعنى موضوعيا بدوره، واذا كان الأمر كذلك فإنه ينبغي إقصاء كل العناصر الذاتية أي كل ما هو مميز لسياق خاص، أو مرتبط بالثقافة أو بصيغة فهم خاصة"[1]، حيث كان "العباس بن الأحنف" يقصد الإخبار عن الثقيل بشكل موضوعي، بحيث يرى "دافيد ليويس" أن الخلط بين الكلام الموضوعي والكلام الذاتي (اجتماعي، نفسي) وما هو مجرد عند مستعملي اللغة قد يؤدي إلى الغموض فهو يميز بين الموضوعية حيث بإمكان الجملة أن تطابق الواقع أو لا تطابقه، فإذا كانت مطابقة للواقع فهي صادقة واذا لم تطابقه فهي كاذبة حسب شروط نجاح الأفعال اللغوية والإثباتات أو الإخباريات.

[1]– جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، 1996م، ص 193.

الخاتمـــــة

خـــــاتمة:

بعد أن فصلنا في بعض المعلومات التي قدمت من خلال خطة هذا البحث، لابد أن نقدم أهم الملاحظات المتوصل إليها:

– ما تعلق بدراسة الخبر الفكاهي في السرد العربي وكيف يمكن تصنيف الخطاب الخبري من حيث بنياته وأنماطه، ليتبين فحوى ومضمون الخبر في التراث العربي.

– كشف أهمية الطرائق والوسائل المتاحة لنقل الأخبار لعقد الصلة بنوع الخبر وعلاقته بالراوي، وأهمية الإسناد الذي يحتوي على كل أوصاف الكلام العربي وذلك بجمع مختلف الروايات التي تأسست بها تلك الأخبار.

– تجمع الأجناس الأدبية على تنويع السرود في الخبر الواحد وتساعد على بناء الآراء وجلب العناصر المشاركة في الحدث الحكائي.

– نبين من خلال تصنيف الخبر من حيث بنيته ونمطه أنه يتعين على القارئ الذي يحتمل فيه أن يكون الخبر صادقا أو كاذبا.

– استعمل "ابن المرزبان" الخبر الفكاهي في خطابه الإخباري ليبلغ في الأخير مقصدا واحدا وهو تعليم الناس حسن المجالسة والتأديب مع الآخرين في قالب سردي فكاهي هادف يتمثل في إصلاح وتعديل لسلوك ما يسمى بـ "الثقيل".

– ولعل "ابن المرزبان" قد وقع فريسة الثقل بسبب هذا الاستعمال المفرط للأسانيد بكل أنواعها، فالخبر الفكاهي يجب أن يحث على المتعة والتسلية الهادفة لا على أسانيد لا أول لها ولا آخر، وهذا رأيي الخاص.

يجب الإقرار أن البحث في المنتوج التراثي أمر ليس يسيرا إلا أننا حاولنا جاهدين على الرغم من الصعوبات التي واجهناها.

قائمة المصادر

والمراجع

القـــرآن الكريـــم:

المصادر والمراجع:

1- أصيل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م، ط1.

2- الجاحظ عمرو بن بحر: تح: عبد السلام محمد هارون، مج 03، مكتبة الخانجي، ط1، 1979م.

3- الجاحظ: البيان والتبيين، ج4، تح، محمد أبو ملحم، منشورات دار مكتبة الهلال، ط7، بيروت، 1992م.

4- الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث، 1969م، ج1.

5- جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، 1996م.

6- جيرالد برنس: تر: عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد البربري، المشروع القومي للترجمة، العدد(368)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

7- الحضري القيرواني، إبراهيم علي: جمع الجواهر والملح والنوادر، تح: محمد علي لبجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، د.ت.

8- رشيد الإدريسي: سمياء التأويل الحريري بين العبارة والإشارة، ط1، المكتبة الأدبية شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2000م.

9- سعيد جبار: التوالد السردي، قراءة في بعض أنساق النص التراثي، ط1، جذور الرباط، 2006م.

10- سعيد جبار: الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، ط1، شركة مدارس للنشر والتوزيع، الرباط، 2004م.

11- سعيد يقطين: الكلام والخبر، مقدمة السرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997م، ط1.

12- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر، جزء المبادئ والافتتاحات، ج3، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

13- طه عبد الرحمن: المساف والميزان أو التكوثر العقمي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1989م.

14- عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1992.

15- عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2006م.

16- عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار فراج، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1981م.

17- فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000.

18- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، 1999م.

19- محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي، بحث في السردية العربية دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998.

20- محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي، بحث في السردية العربية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998م.

21- محمد بن خلف ابن المرزبان: ذم الثقلاء، تح: د. محمد حسين الأعرجي، منشورات الجمل، كولونيا، 1999م، ط1.

22- محمد علي الفاروقي التهناوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر دار الكتاب العربي القاهرة.

23- مصطفى ناصف، بين بلاغتين، ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي، ج1، النادي الثقافي، جدة، ص 180، نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، 2001م.

24- يمينة تابتي، الحجاج في رسائل (ابن عباد الرندي) "دراسة تداولية،" رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2007.

25- إبراهيم مذكور: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 2004.

26- ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي أبو الفرج: أخبار الحمقى والمغفلين من الفقهاء، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1997م.

27- ابن الجوزي: كتاب القصاص المذكرين، تح: محمد لطفي الصباغ، بيروت، لبنان، ط2.

28- ابن ماجة محمد بن زيد القزويني: تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

29- ابن منظور: لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، باب الخاء، مجلد2، دار المعارف، القاهرة، 1981.

30- ابن منظور: لسان العرب، ج10، دار صبح، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م، ط1.

أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م.

31- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري أساس البلاغة: تح محمد باسل عيون السود بيروت لبنان دار الكتب العلمية مادة فكه.

32- ابو بكر العزاوي، "سلطة الكلام وقّوة الكلمات، مقالة في مجلة المناهل، وزارة الثقافة والاتصال المغربية، العدد 62-63، فاس، 2003م، ص 142-143، نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب.

33- أبو علي القالي: مقدمة أمالية، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية.

أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م.

34- بن حنبل الإمام أحمد عن الامام أحمد بن حنبل: بيروت، المكتب الإسلامي، 1988م، ط1.

35- التهناوي: محمد الفاروقي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح: د. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1963م.

36- النجار محمد رجب: التراث القصصي في الأدب العربي، مقاربات سوسيوسرديه، مج1، الكويت، ط1، ذات السلاسل، 1996م.

المعاجم:

1- معجم البلدان: 66: 5، وممن ذهب إلى هذا الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 237 :5، وابن الجوزي في المنتظم 165: 6، وانفرد ياقوت في معجم الأدباء بنسبته إلى الدميرة، فقال: محمد بن المرزبان، أبو العباس الدميري، على حين لم يذكر شيئا من هذا في معجم البلدان.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدمـــــــة

الفصل الأول: الخبر وعلاقته بالفكاهة ..... (05 – 24)

المبحث الأول: ماهية الخبر وأغراضه 5

أولا: ماهية الخبر 5

ثانيا: فائدة الخبر، أنواعه وخصائصه 9

1/ أنواع الخبر 9

2/ فائدة الخبر 10

3/ خصائص الخبر 13

ثالثا/ علاقة الخبر بالسرد والإسناد 14

1/ علاقة الخبر بالسرد 14

2/ الخبر والإسناد 15

المبحث الثاني: الفكاهة في الخبر وعلاقتها بالأجناس الأدبية 17

أولا/ الفكاهة 17

ثانيا/ الفكاهة والأجناس الأدبية 20

ثالثا/ الخبر الفكاهي 21

رابعا/ القصص الفكاهي في التراث العربي 23

الفصل الثاني: الخبر الفكاهي في كتاب "ذم الثقلاء" ..... (26 – 61)

توطئة 26

المبحث الأول: أنماط الخبر وبنياته 29

أولا/ بنيات الخبر 29

ثانيا/ أنماط الخبر في كتاب "ذم الثقلاء" 38

المبحث الثاني: المكونات السردية للخبر في كتاب "ذم الثقلاء" 45

1/ مقاصد الإسناد 47

2/ الــراوي 48

المبحث الثالث: الآليات البلاغية للخبر الفكاهي 50

أولا/ بلاغة الاستعارة والتشبيه 53

1/ بلاغة الاستعارة 53

2/ بلاغة التشبيه 55

ثانيا/ استراتيجية الحجاج 56

خـــاتمة 63

قائمة المصادر والمراجع ..... (65 – 67)

فهرس الموضوعات.